سلسلة دراسات 27

الاقتصاد الإسلامي

وأثره في ترسيخ مفاهيم وقيم العدالة الاجتماعية



تأليف

الدكتور حسن محمد أحمد محمد

تقديم

الدكتور أحمد الإدريسي

MANAR AL ISLAM

مفاد
مركز فاطمة الفهرية
للأبحاث والدراسات

كتاب: الاقتصاد الإسلامي وأثره في ترسيخ مفاهيم وقيم العدالة الاجتماعية
تأليف: الدكتور حسن محمد أحمد محمد
الناشر: مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)
ردمك: 978-9920-576-14-7 : ISBN
الطبعة الأولى: 1443هـ / 2022م
التدقيق والإخراج الفني: www.islamanar.com

الاقتصاد الإسلامي

وأثره في ترسيخ مفاهيم وقيم العدالة الاجتماعية

الدكتور حسن محمد أحمد محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي
فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ
(54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي
حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا
مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)
وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}

[يوسف: 54 – 57]

الإهداء

أمي ويا لفؤادها من جنة كم ذا نعمت بها وكم ذا أنعم
هي شمعة ولهى تذوب لكي أرى خطوي وفي رقصاتها أتقدم
حاشا الأمومة ما نسيت حقوقها وعهودها فهي الأبر الأرحم

إلى روح أمي، في عالم الخلود وفي جنات الفردوس الأعلى، إن شاء الله، أهدي ثمرة هذه الصفحات، متضرعًا إلى المولى العلي القدير أن بنقلها من ضيق اللحد إلى جنات الخلد، وسكنها فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) الإسراء: 23.

شكر وتقدير

في البدء، إن الحمد لله وحده لا شريك له، نحمده ونشكر فضله، نحمده ونجله على ما تفضل به علينا من كثير آلائه وجلائل نعمائه التي لا تحصى ولا تعد، فلا نملك إلا أن نرفع الأكف، ضارعين لله، أن يتقبل منا وشاكرين حامدين له، فله منا الحمد والشكر الجزيل، نحمد الله حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه، ونحمده حمد الشاكرين ونشكره شكر الحامدين.

والشكر كل الشكر، من بعد الله، والتقدير لحرمنا المصون، متعها الله بالصحة والعافية وأغدق عليها الكثير من نعمه وبركاته، تقديرًا لها على جهودها ومجهوداتها التي بذلتها حتى تمكنا من إحراج هذا السفر وتقديم هذه الصفحات إلى دار النشر وموقع منار الإسلام.

والله نسأله التوفيق والسداد لموقع منار الإسلام متمنين للموقع والقائمين عليه دوام التقدم والارتقاء والسمو والرفعة وأن يظل الموقع منارة شامخة للعلم والمعرفة ولخدمة الإسلام والمسلمين. مع وافر شكرنا وتقديرنا لخدماته التي نتمنى لها التواصل والاستمرارية ما دامت الأرض والسماوات.

تقديم:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى وءاله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين. وبعد؛

إذا كان مقصد النظام الاقتصادي الإسلامي هو إشباع الحاجات الأصلية للإنسان وتوفير حد الكفاية والعيش الكريم ليحي الناس حياة طيبة وليعينهم على تعمير الأرض وعبادة الله عز وجل، وتحقيق الإشباع المادي والروحي معا، فإن هذا النظام يقوم على مجموعة من المقومات من أبرزها إيتاء زكاة المال وتحريم الربا وكل المعاملات التي تؤدي إلي أكل أموال الناس بالباطل، كما يسعى إلى التكافل الاجتماعي، وهو نظام وسطيٌّ، قوامه العدل والقسط، والوسطيَّة كما يقول الدكتور علي محيي الدِّين القره داغي في مآلاتها هي التَّوازن، أي: التَّوازن بين المثاليَّة والواقعيَّة، وبين المادِّيَّة والرُّوحيَّة حيث يجمع بينهما، وبين مصلحة الفرد، ومصلحة الجماعة، ومصلحة الدَّولة، وبين مصلحة الأغنياء، ومصلحة الفقراء.

وفي النظام الاقتصادي الإسلاميِّ إلى جانب الرِّقابة الرَّسميَّة الَّتي تمارسها الدَّولة، توجد رقابة أخرى أشد وأكثر فاعلية هي رقابة الضَّمير المسلم، القائمة على الإيمان بالله، ورقابته عز وجل، قال تعالى:﴿ وهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(الحديد:4)، فهو ينطلق أولا من الرِّقابة الذَّاتيّة الَّتي وضَّحها له النبيّ صلى الله عليه وسلم لما سُئِل عن الإحسان في حديث جبريل المشهور فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[1]. أما من حيث الأسلوب والمنهج؛ فإنه يقوم على منهج عقدي أخلاقي مبعثه الحلال والطيبات والأمانة والصدق والطهارة والتكافل والتعاون والمحبة والأخوة مع الإيمان بأن العمل (ومنه المعاملات الاقتصادية) عبادة، في حين نجد النظم الاقتصادية الوضعية تقوم على منهج الفصل بين الدين والحياة، فلا دخل للعقيدة والأخلاق والقيم بالاقتصاد.

والكتاب الذي أتشرف بالتقديم له؛ يساهم في بيان وتفصيل هذه المقومات الأساسية للاقتصاد الإسلامي، والمنهج الذي يقوم عليه؛ حيث ناقش مفاهيم وقيم الاقتصاد الإسلامي، وأثرها في تحقيق العدالة الاجتماعية، وكيف قيد الإسلام حركة الاقتصاد بالقيم الأخلاقية، وبالثواب الرباني، ليقترن مفهوم الاقتصاد بالأداء التعبدي، مستشهدا بالنصوص الشرعية المناسبة، ومستفيدا من مؤلفات علماء الأمة ومن خبرة المتخصصين في الاقتصاد الإسلامي.

1 - رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: سؤال جبريلَ النَّبيَّ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم السَّاعة، وبيان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، حديث رقم: 50.

ثم عرض الكاتب نموذجين لترسيخ القيم الاقتصادية، أولهما السيرة النبوية؛ حيث عرض لنا دورها في ترسيخ مبادئ وأخلاق الاقتصاد الإسلامي وبناء مجتمع الفضيلة، وثانيهما مناهج التعليم؛ حيث بين أثرها في ترسيخ قيم الاقتصاد الإسلامي.

ثم خلص المؤلف إلى استنتاجات مهمة، منها:

- أن العقيدة الإسلامية تحمل في ثنايا تشريعاتها وقوانينها، قيم العدل والإنصاف والعدالة الاجتماعية، وتحض على التراحم بين جميع أفراد المجتمع.

- أن القيم الأخلاقية تمثل أبرز معالم المنهج الاقتصادي في السيرة النبوية، مع مرونة المنهج الاقتصادي النبوي وقابليته للتطبيق بشكل ممنهج ومنتظم.

- أن المناهج والمقررات التعليمية لا تزال بعيدة عن ترسيخ المفاهيم الاقتصادية، وقيم الاقتصاد الإسلامي، لذلك أكد المؤلف على ضرورة غرس القيم الإسلامية الفاضلة في نفوس الناشئة منذ الصغر، من خلال مناهج التربية والتعليم.

إن هذا العمل يفتح آفاق البحث في قضايا مهمة منها؛ سبل غرس القيم الإسلامية الفاضلة في نفوس الناشئة، وأهمية المناهج والمقررات التعليمية في ترسيخ قيم الاقتصاد الإسلامي، وآفاق تطبيق مبادئ الاقتصاد الإسلامي في مجتمعات ودول العالم الإسلامي.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب وما فيه من درر علمية مفيدة، وأن يجعله عملا متقبلا، يجده مؤلفه الأستاذ المحترم حسن محمد أحمد محمد حفظه الله، في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما نشكُر مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات، ممثَّلا في رئيسِه الأستاذ الدكتور عبد الباسط المستعين، على هذا الجُهد الكبير، والعَمل النفيس الذي يقومون به مِن أجل نشر البحوث المفيدة والكتب النافعةِ التي هي مِن جِنْسِ العمل الذي يُنتفَع به، والذي يَجِدُه المرءُ ذخرا يوم القيامة. والحمد لله رب العالمين.

أحمد بن محمد الإدريسي

07 شوال 1443هـ - 08 ماي 2022م

مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)

فاس – المغرب.

مقدمة الكتاب

جاء الإسلام ليؤسس لمجتمع الفضيلة والعدل، ولن يتحقق ذلك النسيج الاجتماعي المتماسك؛ إلا باتباع النهج المحمدي والسير في ركابه حتى نتمكن من التأسيس لحياة اجتماعية تقوم على المؤاخاة في الدين والدنيا يقول تعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) الحجرات:10.

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) التوبة:105.

وقد ارتبطت مفاهيم وقيم الاقتصاد الاسلامي بمفهوم تحقيق العدالة الاجتماعية في الإسلام؛ إذ إن فقه المعاملات في الشريعة الإسلامية ينطوي على النموذج الأمثل لحياة الفرد والجماعة، بما اشتمل عليه من مبدأ الربط بين العبادة والعمل، وقد جاء في كتاب الزهد: (إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني وإنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل)[1]، إن الأمانة والإخلاص في التجارة والكسب سيكون له أثره الإيجابي على حركة تدفق الأموال في الأسواق، وعليه سينمو الاقتصاد وتتحسن أحوال الناس المعيشية نحو الأفضل، وهذا هو ما تدعو له التشريعات الفقهية في جميع التشريعات الفقهية في الإسلام.

والإسلام يدعونا إلى بناء المجتمع الفاضل، ولن نتمكن من تحقيق هذه الغاية النبيلة إلا من خلال التدبر والتفكر، في كثير من معاني آي القرآن العظيم وما اشتملت عليه من مضامين إنسانية تحث المجتمع على النظر إلى المال على أنه وسيلة وليست غاية، وإنما الغاية الأسمى والأرفع تتمثل في أفعال الخير والبر التي تتجسد في العديد والكثير من آي القرآن العظيم. وفي الكثير من أقوال وأفعال رسولنا الكريم، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم؛ وهذا ما ستتناوله الدراسة في فصلها الثاني (المنهج الاقتصادي في السيرة النبوية، النموذج والتطبيق) لاسيما وأن ضوابط فقه المعاملات في الشريعة الإسلامية، تهتم بتحقيق مفهوم العدل والمساواة بين الجميع في المجتمع المسلم؛ وذلك من خلال نشر فكرة التوسط في

1- أحمد بن عمرة بن أبي عامر الشيباني: الزهد، ج1، ص263، دار الريان للتراث (القاهرة) 1408هـ.

الانفاق، وأيضًا، ترسيخ فكرة الإيثار، فالعمل في الإسلام ليست من أجل الكسب بقدر ما هو تقرب إلى الله، يقول تعالى:

(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الحشر:9.

إن الناظر للاقتصاد الإسلامي يجد أن التشريعات الفقهية في الإسلام قد قيدت حركة الاقتصاد بالقيم الأخلاقية، وبالثواب الرباني، وهو ما تسعى الصفحات التالية إلى طرحه ومناقشته، إذ إن هذه الدراسة تهتم بترسيخ مفهوم القيم الإسلامية، وما لها من أثر في تحقيق العدالة الاجتماعية.

وتنحصر فكرة هذا الكتاب في أن مفهوم الاقتصاد في الدين الإسلامي يقترن ويرتبط بمفهوم بالأداء التعبدي، بحيث يصبح النشاط الاقتصادي عبادة، بعد ارتباطه بنية التقرب إلى الله تعالى. كذلك يتناول الكتاب الصلة الوثيقة. التي طالما جمعت بين الاقتصاد والسياسة، فكلا العلمين يدرس في كلية أو قسم واحد هو، الاقتصاد والعلوم السياسية، وبنظرة خاطفة نلحظ أن الاقتصاد مقدم على السياسة، مما يشير إلى أهمية الدور الذي ينهض به الاقتصاد، ومع ذلك فهو غائب، ومغيب في المناهج الدراسية، على الرغم من أنه يمثل الركيزة الأساسية والعمود الفقري في المجتمعات الإنسانية بلا استثناء.

وقد اشتملت صفحات هذا الكتاب، في مجملها، على فصول ثلاثة:

- الأول: مفاهيم وقيم الاقتصاد الاسلامي وعلاقتها بالعدالة الاجتماعية.
- الثاني: المنهج الاقتصادي في السيرة النبوية، النموذج والتطبيق.
- الثالث: أثر مناهج التعليم في ترسيخ مفهوم الاقتصاد الاسلامي.

ـ دواعي وغايات:

يعتبر مفهوم التكافل الاجتماعي من أبرز سمات الاقتصاد الإسلامي، مما يميزه عن الأنظمة الاقتصادية الأخرى، فالقوانين والتشريعات الإسلامية تدعو لانفاق المال وتمنع اكتنازه، كذلك يرسخ مفهوم الاقتصاد الإسلامي مبدأ أن المال ليست غاية في ذاته، وإنما

تتأتى قيمته مما يحققه من أهداف إنسانية سامية، من خلال العمل على ردم الهوة بين الأغنياء والفقراء، وعليه فقد ضبط حركة المال في الأسواق بقوانين شرعية صارمة ومحكمة.
ويمكن تلخيص مرامي وغايات الدراسة في النقاط التالية:

-1 ترسيخ مفهوم الثواب، أي الربط بين الإنفاق والثواب الرباني.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ البقرة: 245.

-2 ترسيخ مفهوم التوسط في الإنفاق، قال تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ الإسراء:29.

-3 محاربة التبذير والمبذرين، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ الإسراء:27.

-4 التشجيع على ممارسة الحرف والعمل اليدوي، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه)[1].

ـ المنهج المتبع:

تقوم هذه الدراسة، على تطبيق منهجين من مناهج التفكير، الأول: التفكير الاستقرائي. والثاني: والتفكير الاستدلالي. فالنمط الأول يسهم في تحليل البيانات وتمحيصها، في حين يسهم النمط الثاني في استنباط نتائج دقيقة وتقويمها؛ لذلك استخدام المنهج الاستقرائي أو الاستدلالي (Inductive or Inferenial logic)[2]، لما له من سمات مميزة تسهم في تيسر العمل في استنباط (deductive) الحقائق العلمية ودراستها بيسر وسهولة، خاصة وأن التفكير الاستنتاجي يؤكد أن النتائج تكون صحيحة إذا كانت المقدمات المترتبة عليها صحيحة[3]، فالمقدمات الصحيحة تقود إلى نتائج صحيحة، لا سيما وأن الوصول إلى قرار أو نتيجة

1- محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج2-ص730، بيروت 1987م.
2- ألان بونيه: الذكاء الاصطناعي، ص: 13، ترجمة: علي صبري الفرغلي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت).
3- الموسوعة العربية العلمية إصدار 2015م

يحتاج إلى اعمال الفكر والتفكير وشحذ الذهن. كذلك استخدام في هذه الدراسة المنهج التاريخي بجانب الاستفادة من الأسلوب الوصفي والتحليلي للبيانات.

الفصل الأول:

مفاهيم وقيم الاقتصاد الاسلامي وعلاقتها بالعدالة الاجتماعية

المبحث الأول: سمات الاقتصاد الإسلامي

المبحث الثاني: مقارنة اقتصادية

المبحث الثالث: الحرية الاقتصادية

المبحث الرابع: حرية الاقتصاد الإسلامي

المبحث الخامس: قيم الاقتصاد الإسلامي

المبحث السادس: نظام التكافل الاجتماعي

المبحث السابع: التشريعات والقوانين

المبحث الثامن: تحريم الفساد

ـ تقديم:

تناولت الدراسة، في فصلها الأول، مفاهيم وقيم الاقتصاد الإسلامي وعلاقتها بالعدالة الاجتماعية، وعملت على عرض تلك المفاهيم والقيم الأخلاقية وتقديمها من خلال عرضه للفكرة الرئيسة التي قام عليها موضوع هذه الدراسة، حيث تناول الحديث العلاقة بين موضوعين يمثلان أهمية قصوى في البناء الاجتماعي وهما، مفهوم الاقتصاد الإسلامي والعدالة الاجتماعية كنظام إنساني شيده ورسخه الدين الإسلامي، وذلك من خلال الحديث عن جملة موضوعات تتعلق جميعها بمفهوم الاقتصاد الإسلامي وكيفية ممارسته بشكل أوسع في المجتمع المسلم وغير المسلم.

وقد تركز الحديث في الفصل الأول حول الموضوعات والمباحث التالية:

- سمات الاقتصاد الإسلامي.
- مقارنة اقتصادية.
- قيم ومفاهيم الاقتصاد الإسلامي.
- الحرية الاقتصادية.
- حرية الاقتصاد الإسلامي.
- نظام التكافل الاجتماعي.
- التشريعات والقوانين والقوانين.

لقد تناولت افتتاحية الحديث، في هذا الكتاب، السمات التي ميزت الاقتصاد الإسلامي عن غيره من الاقتصادات، بجانب الحديث عن حرية الاقتصاد الإسلامي. ثم تعرضت الدراسة للقيم الأخلاقية للاقتصاد الإسلامي كموجهات إنسانية نادت بها الشريعة الإسلامية، كما أن هناك جانب في غاية الأهمية، كان لزامًا أن يتم تناوله بالحديث، ألا وهو نظام التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية. كما أفرد للقوانين والتشريعات، في هذا الفصل، مجال استعرض من خلاله الحديث عن التشريعات والقوانين التي سنتها الشريعة الإسلامية من أجل الحفاظ على القيم والمبادئ الفاضلة والأخلاق الإسلامية الكريمة، والتي كان من أهمها

وأبرزها قضية تحريم الفساد والمفسدات التي تفسد كل عمل صالح. فقد قضى الإسلام على ما كان معروفًا، من قبل، حيال الضرائب التي كان يؤديها الفقراء للأغنياء، وكان الفقير يدفع الضريبة من ماله أو من جهده أو من دمه، ...، لأنه حين لا يدفع يكون دمه هو الفداء، أو قل كان دمه الضريبة الواجبة الأداء. وجاءت عدالة النظام الاقتصادي الإسلامي لتعمل على اصلاح الوضع الضريبي، فلم يوقف الإسلام دفع الضريبة، ولكنه غير من اتجاهها حيث جعل الأثرياء هم من يؤدون ضريبة أموالهم لتعطى للفقراء، من باب الشفقة والإحسان للفقير أو على سبيل الصدقة، بقدر ما هو واجب مستحق للفقراء على الأثرياء[1].

إن فلسفة الاقتصاد الإسلامي تقوم على ترسيخ المفاهيم والقيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة الكريمة، بحيث تشيع في المجتمع المسلم روح التكافل والتوادد والتراحم ..، لاسيما وأن مفهوم الإسلام للاقتصاد يسعى، جاهدًا، إلى تقديم المنفعة العامة على المنفعة الشخصية، التي ينبني عليها الاقتصاد الرأسمالي الغربي، وهي فلسفة برغماتية نشأت في انجلترا في القرن19م، على يد جيرمي بينثام، وجون ستيورات مل، وكان شعارها هو: (أكبر قدر من السعادة لأكبر قدر من الناس هو معيار الحق والباطل؛ أي أن المنفعة هي التي تحدد اتجاه الحقيقة، صدقًا كان أم كذبًا)[2]، ومن المعروف أن جميع الشعوب والأمم تسعى، بصورة دائبة، إلى تحقيق الوفرة المعيشية، أي الارقاء بالاقتصاد في المجتمع؛ ولتحقيق ذلك يتخذ علماء الاقتصاد الكثير من التنظيم ويعملون على وضع المبادئ والقواعد والأسس التي يبني فوقها الهدف العام المشترك، فعنى بمشكلة الندرة[3]، وهذا هدف نبيل، لولا أن تلك الندرة، التي يسعى الرأسماليون لسدها، في كثير من الأحيان تكون مفتعلة وبفعل فاعل من الجشعين من ذوي الأخلاق الفاسدة والضمير المعدم. أما الإسلام فمن مبادئه العمل على منع الاحتكار، وشدد على ذلك بقوة لا هوادة فيها لقوله صلى الله عليه وسلم: (من احتكر فهو خاطئ)[4]، وقد كان شعار الإسلام في غاية السمو والرفعة والكمال في مجال التربية بالنفس والروح، يقول تعالى:

1- أحمد شلبي: السياسة والاقتصاد في الإسلام في التفكير الإسلامي، ص: 187، مكتبة النهضة المصرية (مصر) 1979م.

2- الموسوعة العربية العالمية، اصدار: 2004م

3- أمينة أحمد إمام الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، ص: 15، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) 1994م.

4- صحيح مسلم: ج3، ص: 1227.

(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الحشر:9.

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة: 275.

(وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)اللإسراء:27.

(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) الأنعام: 141.

تحمل هذه الآيات، وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة، الكثير من القيم الإنسانية التي تحكم مفهوم الاقتصاد وحركة المال في المجتمع، حيث تمنع القوانين والتشريعات أي تعاملات ربوية أو احتكار.. بل وكل ما يمس المجتمع بضرر يقول تعالى:

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) البقرة: 275.

(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) البقرة: 176.

وهناك نظام الزكاة، وهو نظام اقتصادي ابتكره الإسلام، يعجز العقل عن وصفه ويحار الكلم في دقته وعظمته، لما يتميز به من أسلوب بارع جمعًا وتوزيعًا، يقول تعالى:

(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) التوبة:60.

وفي الحديث: (عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احتكر على المسلمين طعاما ضربه الله بالجذام والإفلاس)[1]، وجاء في صحيح البخاري: (عن أنس، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[2].

1- محمد بن يزيد أبو عبد الله الغزويني: سنن ابن ماجة ج2-ص729، دار الفكر بيروت

2- محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج1-ص14، بيروت 1987م.

المبحث الأول: سمات الاقتصاد الإسلامي

ينبع مفهوم السلوك الإسلامي من مكونات العقيدة الإسلامية بما اشتملت عليه من أخلاق وقيم وعبادات وحث على التفكر والتأمل .. وهي التي تمثل الإطار الذي يتحكم في سلوك المسلم. فعقيدة المسلم تقوم على الهَدْي الإلهي القويم المتمثل في القرآن العظيم وسنة نبيه الكريم، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، وقد منحت العقيدة الدينية الإسلامية العقل مساحة واسعة من التفكر والتأمل العقلي، ولم تقيد حركته الفكرية بالتفاصيل الكثيرة وإنما كانت تضع التشريعات في صورة مجملة ثم تترك للعقل البشري حرية النشاط والفهم في اطار واسع وسعة تشريعية تتلاءم وظرف المكان والزمان؛ الأمر الذي جعل من الإسلام عقيدة تصلح لكل زمان ومكان دون مساس بالأصول العقدية. وقد نظمت العقيدة الإسلامية حركة الأنشطة الاقتصادية والتجارية من خلال فقه المعاملات الذي يعِين المسلم على ممارسة السلوك الاقتصادي فيما يتعلق بالإنفاق والادخار، من ذلك؛ يقول تعالى:

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تُبسُطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا﴾ الإسراء: 29.

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلاً﴾ الإسراء: 34.

﴿ ويل للمطففين* الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ المطففين: 1-3.

﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ البقرة: 275 .

وقد وردت في السنة المطهرة كذلك أحاديث تشير إلى السلوك النبوي في المعاملات الاقتصادية.: (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مِثْلاً بمِثْل يدًا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى والآخذ والمعطي سواء) وفي كتاب

تاريخ الخلفاء للسيوطي[1]: (الذهب بالذهب مثلا بمثل، والفضة بالفضة مثلا بمثل، والزائد والمستزيد في النار)، وروي، أيضًا، (الذهب بالذهب والفضة بالفضة وزنًا بوزن)[2]، ومنها عدم موافقته على تسعير السلع: روى أنس بن مالك، أن الناس قالوا: يا رسول الله غلا السعر فسعِّر لنا، فقال: (إن الله تعالى هو الخالق القابض الباسط الرازق المسعِّر وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمته إياها في دم ولا مال)، وجاء في صحيح البخاري: (رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمحًا إذا اقتضى)[3]. وبمثل هذه القواعد الفقهية يتبين أن الأنشطة الاقتصادية والتجارية تخضع لقانون العرض والطلب، ولكن هذا لا يمنع من تدخل الدولة (الحكومة) من خلال وزارة المالية أو البنك المركزي لتحدث قدرًا من التوازن بين العرض والطلب في حال حدوث ندرة في سلعة من السلع.

ويتميز مفهوم الاقتصاد الإسلامي عن فقه المعاملات بأن فقه المعاملات هو أشبه بالإطار القانوني للنظام الاقتصادي، حيث يهتم النظام الاقتصادي بتناول طبيعة المعاملات والأنشطة ذات الطبيعة التجارية من حيث التبادل الخدمي والسلعي بين الأفراد والجماعات؛ وعليه يصبح مفهوم العقيدة والقيم الأخلاقية بمثابة السياج الواقي والدرع الحامي الذي ينبع من داخل الإنسان ويعمل على منعه من الوقوع في المحظورات، ولا يمكن أن يعمل نظام الاقتصاد الإسلامي بمعزل عن الهدي الإلهي الخالد والسنة النبوية المطهرة، وعمل الدارس المسلم هو أن يستنبط القواعد العامة التي تحكم السلوك الاقتصادي من الآيات والأحاديث التي يجد فيها توجيهًا وإرشادًا اقتصاديًا.

إن الاقتصاد، بشكل عام والاقتصاد الإسلامي على وجه الخصوص، هو فضيلة من فضائل الإنسانية الجليلة، بل هو من أهمها، مدحته جميع الشرائع، وبينت فوائده. وهو، كغيره من الفضائل، وسط بين رزيلتين هما: رزيلة البخل والإمساك، ورزيلة التبذير أي الافراط، فالاقتصاد يجمع بين أمرين أساسيين: أولاً، إنه يعنى بأسلوب أو طريقة جمع المال. وثانيًا، حسن تدبير أوجه صرف المال؛ وذلك من حيث التوسط والتبذير في الإنفاق، فلا يجعل صاحب المال يده مغلولة إلى عنقه، حتى لا يخرج منها شيئًا، ولا يبسطها كل البسط،

1- جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص: 99.

2- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ص: 10186

3- محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج2-ص863، بيروت 1987م.

فيقعد ملومًا محسورا، بل ينفق من ماله حسب حاله، يقدم الأهم فالمهم، والاقتصاد، بحر شاسع وباب واسع، بل ومن أكبر أبواب المعرف الإنسانية ومن أكثرها أهمية في مجال تشكيل السلوك الفردي والاجتماعي، والحديث فيه يطول ويتشعب.

المبحث الثاني: مقارنة اقتصادية

عند المقارنة بين حركة النشاط الاقتصادي الإسلامي والرأسمالية؛ نلحظ أن دافعية وفلسفة النظام الرأسمالي تقوم على الحرية الفردية التي تنحصر في تحقيق المصالح الشخصية الضيقة، وبناء عليه تتصارع وتتضارب المصالح الاقتصادية العامة والمشتركة بين أفراد المجتمع لأن المصالح المشتركة الكبرى تنبثق من النشاط الجماعي.

إن الآلية الرئيسة لحركة النظام الرأسمالي والمحركة لحركة الأسواق والأنشطة الاقتصادية والتجارية، جميعها، تقوم على النظرة الاقتصادية الضيقة المرتبطة بمنفعة رب المال، وقد صنعت منه امبراطورًا وسلطته على رقاب المستضعفين من العباد.

والفرق بين هذه النظرة النفعية والنظرة الإسلامية هو أن الإسلام يعتبر النشاط الاقتصادي نفسه عبادة والعمل والاستثمار والاتجار تقربًا لله سبحانه وتعالى، ويضع في الحسبان مصلحة الآخرين ومصلحة المجتمع قبل المصلحة الشخصية، فعن أنس، عن النبي قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[1]. فالاقتصاد الرأسمالي اتجه وجهة ذاتية نفعية، واتجه الاقتصاد الإسلامي وجهة غيرية إيثارية لاختلاف التصور المذهبي للحياة وما بعد الحياة.

وإذا انتقلنا إلى النظام الإشتراكي (الشمولي) نجد أن البون شاسع بينه وبين مفهوم الاقتصاد الإسلامي ونقاط الخلاف بين النظامين كثيرة ومتعددة، من حيث وجود اختلافات جوهرية كإهداره للملكية الفردية، وخنقه لحركة الاقتصاد وتشبثه بفكرة المركزية التي لا يحيد عنها وكمنطلق رئيس، مما يجعل منه اقتصادًا مكبلاً وغير قابل للنمو.

وعلى عكس النظام الإشتراكي نجد النظام في الإسلام يتسم بالشورى ولا يقوم على دكتاتورية تسلطية، كما يقوم على الإيمان بوجود الخالق المسيطر والمدبر لكل حركة وسكنة في هذا الوجود وبهذا يكون المالك الحقيقي للمال هو الله تعالى أما الإنسان فهو مجرد خادم مقيد بكثير من الضوابط الدينية والأخلاقية.

1- محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج2-ص897، بيروت 1987م.

http:--jobs.smarr-?p=3452

ـ المِلْكِية:

تتقسم الملكية في نظام الإسلام الاقتصادي إلى أربعة أقسام:

1. الملكية الفردية، أو الملكية الخاصة، والتي أباحها الإسلام وشرع لها القوانين الضابطة لحركتها يقول تعالى:

﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ الحديد: 7.

﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ النساء: 32.

وهذا تقرير لحق الفرد في تملك ما كسبه بعرقه وجهده. قال، صلوات الله وسلامه عليه،: (من قُتِل دون ماله فهو شهيد)[1]، والملكية الفردية هي ثمرة المجهود الفرد.

2. الملكية العامة: المالك فيها هو الأمة بصفتها الاستخلافية يقول تعالى:

﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ الحديد: 7.

﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا وارزقوهم فيها واكسوهم﴾ النساء: 5.

وتتعين الملكية العامة في كل مل يتبط بمامصالح العامة للمجتمع أو الإنسانية جمعاء، يقول رسولنا الكريم، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، (الناس شركاء في ثلاث، الماء والنار والكلأ)[2]

3. الملكية المزدوجة، أو ما يعرف بالاقتصاد المختلط: وهي مزيج من الملكية الخاصة والعامة، الت تعمل جنبًا إلى جنب في استثمار الأموال العامة بحيث تكون الأرباح بينهما بحسب الأسهم وعددها، وتتمثل الشركات والمؤسسات المالية والاقتصادية القائمة على المشاركات.

1- محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج2-ص803، بيروت 1987م.

2- محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج2-ص963، بيروت 1987م.

4. ملكية الدولة: تعد الدولة أو الحكومة هي المالك والمدير الفعلي لها وتعتبر الدولة راعية لمصالح الأمة باعتبارها موظفا لدى الأمة وخادمة لمصالح الشعب ووكيلة عنه في إدارة حركة الاقتصاد القومي.

المبحث الثالث: الحرية الاقتصادية

تقوم المبادئ والنظريات الغربية على حرية الفرد ولا تنتهي حرية الشخص إلا عند بداية حرية الآخر، أما المبادئ والتشريعات الإسلامية فهي تقوم على مبدأ (أنت حر ما لم تضر)، وعند المقارنة بين الفكرتين، الغربية والإسلامية، نلاحظ أن الأولى (الغربية) تقيد حرية الفرد عند تقاطعها مع حرية الآخر، أما الثانية (الإسلامية) فتربط حرية الفرد بحدوث ضرر، سواء تعلق الضرر بفرد أو جماعة، وهذا هو النهج الذي ينتهجه الاقتصاد الإسلامي في حركته الاقتصادية والاجتماعية، فحرية الاقتصاد الإسلامي تقوم على أساس حرية الشخص؛ لأن الإنسان إذا لم يملك حريته، حرية القول والفعل، لا يستطيع أن يملك حق التصرف الاقتصادي، والحرية حق يكتسبه الإنسان الحر، يقول عمر بن الخطاب لابن عمرو بن العص: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا». كذلك يتقيد الاقتصاد الإسلامي بما أباحه الشارع وأحله المشرع من الطيبات، (ولا ضرر ولا ضِرار) هو مبدأ أساسي يستند إليه الاقتصاد الإسلامي في ممارسة نشاطه التجاري الطبيعي، بالإضافة إلى حرية حركة الأنشطة الاقتصادية والتجارية التي لا تتعارض مع القيم والأخلاق الإسلامية الرفيعة والسامية، ووفق قانون العرض والطلب.

ولا ينكر نظام الاقتصاد الإسلامي التفاوت بين الناس في المعايش والأرزاق، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء؛ يقول تعالى:

(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) الجمعة: 4.

والتفاوت والاختلاف بين الناس في مختلف الأشياء يعد أمرًا فطريًا وطبيعيًا، لأنه تحقق وفق المواهب والقدرات والإمكانات والظروف ..، إلا أن الاعتراف بهذا الأمر ليست على اطلاقه وإنما يتم وفق ضوابط شرعية وقانونية، يقول رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه،: (إذا مات أحد من الجوع فلا مال لأحد)، وقال، أيضًا، (ليس بمؤمن من بات شبعان ريان وجاره جائع طاو)[1]، وهذا أبو ذر الغفاري يقول: عجبت لمن لا يجد قوت يومه كيف لا يخرج شاهرًا سيفه على الناس. وبجانب هذا هناك الزكاة التي تسد كل سلمة اقتصادية في المجتمع المسلم

1- أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، ص: 415.

وحتى غير المسلم، إذ نجد أن عمر قد أعطى يهوديًا من بيت مال المسلمين، وقال له: أكلنا شبابك أفنتركك في شيبتك.

إن تحديد سمات بعينها، لمفهوم الاقتصاد الإسلامي، تتطلب القيام بتعريف الاقتصاد الإسلامي، باعتبار أنه علم له أصوله ومنهجيته التي ينبني عليها، ويتم هنا تقديم هذه التعريفات، المختصرة، التي شملت العديد من القيم التي يدعو لها الدين الإسلامي[1]:

❖ الاقتصاد الإسلامي هو معرفة وتطبيق الأحكام والقواعد الشرعية التي تمنع الظلم في الحصول على الموارد المادية واستهلاكها بغية تحقيق رضا الناس وتمكينهم من القيام بواجباتهم تجاه الله وتجاه المجتمع.

❖ الاقتصاد الإسلامي هو علم من العلوم الاجتماعية يدرس المشكلات الاقتصادية لأناس يتحلون بقيم الإسلام.

❖ الاقتصاد الإسلامي هو، ذلك الجهد الذي يبذل في محاولة فهم المشكلة الاقتصادية وسلوك الانسان نحوها.

❖ نظام الاقتصاد الإسلامي هو السلوك الإسلامي نحو استخدام الموارد المادية في إشباع الحاجات الإنسانية.

❖ الاقتصاد الإسلامي هو، رد فعل المفكرين المسلمين للتحديات الاقتصادية في عصرهم ويعينهم في مساعهم هذا القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل والخبرة.

❖ يهدف الاقتصاد الإسلامي إلى دراسة فلاح الإنسان الذي يتحقق عن طريق تنظيم موارد الارض والتعاون والمشاركة.

❖ الاقتصاد الإسلامي هو الذي يمثل سلوك المسلم في مجتمع إسلامي نموذجي.

نخلص من جملة ما سبق تقديمه من تعريف للاقتصاد الإسلامي، أنه يمكن القول بأن علم الاقتصاد الإسلامي يشكل أحد فروع العلوم الإنسانية التي تسهم في بناء مجتمع

1- محمود وادي وآخرون: دور الاقتصاد الإسلامي في الحد من الأزمات الاقتصادية، ص:3 ، من أوراق المؤتمر الدولي العلمي السابع، تداعيات الأزمة الاقتصادية على منظمات الأعمال (جامعة الزرقاء - الأردن) 2009م.

تسود فيه قيم العدل والمساواة؛ بغرض تحقيق رفاهة المجتمع الإنساني، إذ إن المبدأ الرئيس للاقتصاد الإسلامي يهتم بالمساواة بين أفراد المجتمع المسلم، بحسب ما يقتضيه العدل في قسمة وتوزيع الموارد والخدمات، وبما يتفق والقيم الإسلامية السمحاء, من غير أن يحدث أي قدر من التضييق أو التقييد لحركة الاقتصاد والتجارة في الأسواق التجارية.

وقد روي في الحديث الوارد في صحيح البخاري: (عن أبي هريرة قال: قال، رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثلاث لا يمنعن: الماء والكلأ والنار)[1].

لقد حققت هذه الكلمات، المختصرة، التي جاءت في الحديث النبوي الشريف، أهم مبدأين من مبادئ العدالة الاجتماعية، وهما: المساواة في استخدام الموارد الأساسية التي يقوم بمقتضاها مفهوم الحياة الاجتماعية، والثاني هو مبدأ حرية الاقتصاد.

1- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفدا: تفسير ابن كثير ج4، ص298، دار الفكر (بيروت) 1401هـ.

المبحث الرابع: حرية الاقتصاد الإسلامي

جاء في سنن أبي داؤود: (عن أنس، قال: قال: الناس، يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا، فقال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال)[1].

إن ثمة سؤال، هنا، يطل برأسه، باحثًا عن إجابة، وهو، بناء على الحديث السابق؛ هل يمكننا أن نعتبر أن الاقتصاد الإسلامي حر حرية مطلقة خالية من جميع القيود؟.

والإجابة هي: لا يمكن لأحد، كائنًا من كان، أن يجيب، عما سبق من تساؤل، بنعم، إذًا فالإجابة هي أن الاقتصاد الإسلامي مقيد ومكبل بقيود تمنعه وتحد من حركته بحرية. وهنا يطل سؤال آخر هو، ألا يتناقض وجود تلك القيود مع مبدأ حرية الاقتصاد، الذي سبق تقريره والتأكيد عليه باعتباره أهم مبادئ الاقتصاد الإسلامي؟؟؟.

والإجابة هنا هي، كلا، بل وألف ألف كلا، إذ إن هناك جملة أسباب تمنع الاقتصاد الإسلامي، وغير الإسلامي، من أن يكون مطلق الحرية، من بين هذه الأسباب: عدم وجود ما يعرف بالحرية المطلقة، فلا وجود لمثل هذا المصطلح بين الأنام على الاطلاق، فلا يتمتع بمثل هذه الصفات أو هذا الحق إلا الله وحده لا شريك له، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فقد وضع الشرع الإسلامي، جملة محاذير وضوابط، يجب على كل مسلم موحد أن يضعها نصب عينيه ويتمثلها في كل سلوكه؛ لاسيما وأن السلوك الإسلامي مستنبط من القرآن العظيم ومن الهدي النبوي الشريف، ومن الأخلاق الإسلامية التي تحكم وتضبط سلوك المجتمع المسلم بشكل عام وخاص، بلا استثناء[2].

وبذلك يكون الاقتصاد الإسلامي حر ومقيد، فهو حر من أي تدخلات أو سياسات تفرضها النظم السياسية الحاكمة، والتي لا يخرج دورها عن رقابة حركة التجارة في الأسواق، بحيث يقتصر عمل السلطات السياسية ودورها على تطبيق ضوابط الشرع؛ وذلك في حال لم يتقيد ذوو الضمائر الميتة بتلك الضوابط، أي أن مهمة السلطات التنفيذية أن تتدخل

1- سنن أبي داود ج3-ص272.

2- الموسوعة العربية العالمية الإسلامية، اصدار 2004م.

عند الضرورة وبالقدر الذي يحفظ النظام ويمنع النظام الاقتصادي من الانفلات. ولعل الحكمة في منع التدخل تعود إلى تداول السلطة، وبالتالي تعاقب التنفيذيين، الذين تختلف أفكارهم وأهواءهم، مما سينعكس بشكل سلبي على حركة التجارة في الأسواق، ولا شك في أن في ذلك ضرر كبير سيحيق بأصحاب الأموال من التجار وعلى العامة من المستفيدين من تلك الأسواق، حيث يرى ابن خلدون أن تدخل السلطان أو الحاكم في التجارة مضر بالرعايا والجباة، وفي ضوء ما ذهب إليه ابن خلدون رسخ بعض الاقتصاديين لمفهوم الدور الاقتصادي للدولة في الإسلام، لما هو أقرب إلى دور الدولة الحارسة في الفكر الرأسمالي، فيقتصر هذا الدور في (الدفاع، والأمن، العدالة، والعلاقات الخارجية)[1].

أما عن القيود، التي تحكم حركة الاقتصاد الإسلامي، فهي قيود أخلاقية تتمثل في القيم الإنسانية التي يفرضها كل مجتمع، سوي، على نفسه دون أن يفرضها عليه أحد، وذلك بغرض منع الظلم، والحفاظ على تماسك المجتمع من خلال التراحم والتكافل الاجتماعي بين أثرياء المجتمع والفقراء أو المساكين الذين يعيشون معهم، فقد جاء في البخاري: (عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه)[2]، وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل (عن ابن عباس يرفعه إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر)[3]، وهنا تتمثل قيم العدالة الاجتماعية في أبهى وأجمل حللها وصورها، وإنها صورة قل، بل ربما ينعدم، أن يوجد لها نظير أو شبيه في جميع المجتمعات الإنسانية، بلا استثناء، وإن وجدت فهي بعيدة عن مفهوم العبادة والتقرب إلى الله الواحد الأحد، لقد كانت الأسواق من أهم الأماكن التي حظيت، لدى رسولنا الكريم، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، بالعناية والاهتمام بجانب عنايته بالمسجد؛ الأمر الذي يشير إلى الصلة العميقة بين الاقتصاد والعقيدة الإيمانية ومدى ما لهما من تأثير في تأسيس وبناء نظام الحكم في المدينة. وقد جاء في صحيح ابن حبان: (عن أبي هريرة، قال: قال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع له، فقال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المفلس

1- موقع الجزيرة نت.

2- محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج2-ص863، بيروت 1987م.

3- أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني: مسند أحمد، ج1، ص257، مؤسسة قرطبة (مصر).

من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته، وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقعد فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يعطي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)[1].

وقد اهتم الإنسان، منذ القدم وبشكل غريزي فطري، بمسألة حب المال وعمل على كنزه بشكل أعمى بصيرته حتى صار المال لدى الكثيرين هو الهدف والغاية التي لا غاية بعدها فقالوا: (If you have many you do every thing)، أي إذا كنت تملك المال يمكنك أن تفعل كل شئ، بلا استثناء، ولا شك في أن المتفكر في العبارة الإنجليزية يجدها بعيدة، كل البعد، عن العقل السوي المدرك للأمور والمتأمل في عواقبها، إذ إن كل متأمل ومتدبر للعقيدة الإسلامية يلاحظ أنها تميزت عن سواها من العقائد، السماوية وغير السماوية، فإذا اطلعنا على المسيحية، على سبيل المثال، لوجدنا فيها نصوصًا تخالف غريزة النفس الإنسانية وطبيعتها، حيث يقول الإنجيل: (لا تقتنوا ذهبًا ولا فضة ولا نحاسًا في مناطقكم * ولا مزودًا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا ...) متى الاصحاح 10، ويقول، كذلك: (لا تقدرون أن تخدموا الله والمال* لذلك أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون، أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس ....، ولكن أطلبوا ملكوت الله وبره وهذه تزداد لكم * وأقول لكم أيضًا: إن مرور الجمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله) إنجيل متى الاصحاح 16، وليست لدينا من شك في أن ما تدعو إليه الكنيسة من مبادئ يخالف واقعها تمام الاختلاف، فالكنيسة تعتبر من أكثر وأكبر مراكز تجميع الثروات المالية في العالم اليوم. ولكن الناظر للعقيدة الإسلامية يجد أنها قد شهدت حضورًا مكثفًا لذكر الأموال وحركتها التجارية، سواء أكان كسبًا للمال أو انفاقًا له، ويمكن مشاهدة ذلك الحضور المالي الكثيف، في الكثير من آي القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة، وقد جاءت تلك الكثافة متوازنة مع طبيعة النفس البشرية فإن الشرع الإسلامي لا يأبى للمسلم أن يمتلك المال؛ ولكنه يلفت انتباهه ويحذره مرارًا وتكراراً من شهوة المال والركون إلى سلطانه وجبروته، ويدعو، بشدة، إلى انفاقه في سبيل الله في الحياة قبل الذهاب إلى الحياة في الدار الآخرة، يقول تعالى:

1- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي: صحيح ابن حبان، ج10، ص: 250، مؤسسة الرسالة (بيروت) 1993م.

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) التوبة:34-35.

يقول ابن كثير في تفسيره: (والذين يكنزون الذهب والفضة) قال النبي، صلى الله عليه وسلم، تبا للذهب تبا للفضة يقولها ثلاثا قال، فشق ذلك على أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقالوا: فأي مال نتخذ؟ فقال عمر، رضي الله عنه: أنا أعلم لكم ذلك، فقال: يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأي المال نتخذ؟ قال: لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على دينه[1].

تحذرنا الآيتان (التوبة:34-35) من اكتناز المال وعدم انفاقه، لأن في ذلك اضرار بالاقتصاد، وبالتالي يتضرر النسيج الاجتماعي وينتشر الفساد، أما في حال تم انفاق المال في أوجه الخير فهناك الوعد، من الله تعالى، بالنماء والزيادة، يقول تعالى:

(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة:261-262.

فالحق، جل وعلا، لا يريد للمال أن يكون غاية يسعى الفرد أو المجتمع إليها بشتى السبل، دون مراعاة للقيم الإسلامية والأخلاق الإنسانية؛ وإنما يريد للمال أن يكون عاملاً من عوامل السمو النفسي والروحي، ثم من بعد ذلك يأتي دور التنمية الاقتصادية التي تزدهر من خلال حركة المال في المجتمع؛ لكي لا يكون المال في يد فئة دون الآخرين، يقول تعالى:

(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) الحشر:7.

1- تفسير ابن كثير ج2-ص352.

فالإسلام، إذًا، يسعى إلى تفتيت الثروات وتوزيعها بين الناس، ونتيجة لذلك سنّ الإسلام الكثير من القوانين والتشريعات المحكمة والمرتبطة بالمال، وذلك عملاً بمبدأ تحقيق مفهوم العدالة الاجتماعية، يقول تعالى:

(وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) البقرة: 280.

كذلك جاءت العديد من الأحاديث النبوية التي تطابقت، في معناها، مع ما ورد ذكره من آيات قرآنية كريمة:

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ان أعطي رضى وإن لم يعط لم يرض)[1].

❖ (عن ابن عباس، رضي الله عنهما، ... سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)[2].

❖ (عن ابن عباس ...: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول لو أن لابن آدم مثل واد مالا لأحب أن له إليه مثله ولا يملأ عين بن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)[3].

❖ (عن حكيم بن حزام قال: سألت النبي، صلى الله عليه وسلم، فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم قال: هذا المال، وربما قال سفيان قال لي يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى)[4].

1- صحيح البخاري ج5، ص:2364

2- نفس المصدر: ج5:ص:2364.

3- نفس المصدر: ج5، ص: 2364

4- صحيح البخاري ج5:ص2365.

نستخلص مما سبق أن الإسلام قد أباح للناس الملكية الفردية[1] والاستمتاع بالمال والتوسع فيه ..، والملكية، في الإسلام، على ضربين: ملكية التامة وتتضمن ملكية العين (الأصل) والمنفعة كلاهما معًا، وملكية ناقصة، وتقتصر على الاستفادة من منفعة العين، فقط، دون تملك الأصل[2]. ويشترط في التعاملات المالية، من ناحية أخلاقية، القصد والاعتدال وحسن النوايا، أي أنها منضبطة بالوقوف عند حدود الشرع قال تعالى:

(يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) الأعراف: 31-32.

والمتدبر للآيتين (الأعراف: 31-32) يجد فيهما دعوة إلى التوسط وعدم الاسراف، حتى في المباح والحلال، فعلى الإنسان أن يتذكر العديد من النعم التي أنعم الله تعالى عليه بها لإلا ينسى ذكره وشكره على تلك النعم، يقول تعالى:

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) النحل: 5-8.

ولم تترك التشريعات الإسلامية الحبل على القارب للفرد أو الجماعة، وإنما عملت على كبح جماح النفس الإنسانية ولجم شهواتها وضبطها، يقول تعالى:

(وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) الإسراء: 26-27.

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) الإسراء: 30.

1- أحمد شلبي: السياسة والاقتصاد في الإسلام في التفكير الإسلامي، ص: 191، مكتبة النهضة المصرية (مصر) 1979م.

2- أمينة أحمد إمام الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، ص: 17، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) 1994م.

المبحث الخامس: قيم الاقتصاد الإسلامي

عند المقارنة بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصادات الأخرى، لاسيما الرأسمالي والاشتراكي، نلحظ أن ثمة اختلافات بينها وبين النظام الإسلامي، ففلسفة الاقتصاد الرأسمال، على سبيل المثال، تنبني على مسائل تتحكم في حركته، وهي: الانتاج، التبادل، المنفعة، الاستهلاك. وهذه هي سمات مدرسة الاقتصاد الكلاسيكي التي كان على رأسها الاقتصادي الإنجليزي آدم سميث، والتي تقوم على مبدأ التبادل الحر، وهي تتيح لكل إنسان أن يسعى إلى تحقيق مصلحته الشخصية أولاً، ومن ثم، كما يرون، تتحقق المصلحة العامة المشتركة بينه وبين المجتمع، ولأن الصالح المشترك الأكبر يتكون من مجموع أجزائه، فإن إعاقة المصالح الشخصية فيه تقليل من مجموع المصالح المشتركة الكبرى. فالنظام الرأسمالي يعلّق النشاط الاقتصادي على المصلحة الشخصية وعلى المنفعة المتبادلة بين الفرد والمجتمع، وآلية جهاز الثمن كالعرض والطلب هي التي تجعل هذا الهدف سهلاً ميسورًا للجميع، وقد أوضح ستيورات مل، في كتابه (منطق العلوم الأخلاقية) أن الاقتصاد الكلاسيكي يبني نظرياته على مبدأ واحد، وهو النظر إلى الإنسان من ناحية غرائزه المادية فقط، ولا يهتم بظواهر الحياة الاجتماعية إلا في ما يتعلق بالبحث عن الثروة فقط[1]، وتعد مسألة الملكية الشخصية وحرية التملك واختيار مجال الإنتاج والتشغيل ... من أهم خصائص الاقتصاد الرأسمالي، وفي إطار هذه الحريات يعمل الاقتصاد الرأسمالي «بنظام الثمن» ...، وقد أضفى آدم سميث هالة من الاطراء والتمجيد على هذه الحركة الميكانيكية، التي قال: إنها تحقق التوازن بين الصالح الخاص والعام، والصالح العام. أما في نظر سميث، فهو مجموع المصالح الخاصة، واعتبر بذلك أن جهاز الثمن أو آلية السوق هي اليد السحرية التي تعمل على تقويم كل معوج في مضمار الاقتصاد.

وعلى العكس من مفهوم سميث والنظام الرأسمالي بكامله، نجد أن كار ماركس، مؤسس نظام الاقتصاد الإشتراكي الشيوعي، يرد كل الشرور الاقتصادية والاجتماعية إلى موضوع

1- السيد محمد بدوي: في علم الاقتصاد الاجتماعي، ص: 26، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية – مصر) 1988م.

الملكية الفردية والحرية الشخصية ويعتبر أن فناء النظام الرأسمالي سيكون في بذور الملكية والحرية والتي ستقضي عليهما في المستقبل[1].

وهناك شئ من التوافق بين نظام الاقتصاد الإسلامي والنظام الاقتصادي الرأسمالي فكلاهما يسير في ذات الاتجاه وهو الاعتراف بفكرة الملكية الشخصية أو الفردية، فقد أقر الإسلام مبدأ الملكية الشخصية واعترف بها ولم يحاربها بل وشجع الناس وحثهم عليها، إلا أن ثمة فرقًا جوهريًا يميز النظام المالي في الإسلام، عن رصيفه الرأسمالي، وهو: أن الإسلام يعتبر حركة الفرد لكسب معيشته ضرب من العبادة والتقرب إلى الله، وقد جاء في صحيح البخاري: (عن المقدام، رضي الله عنه، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)[2]. وفي صحيح مسلم: (عن سعيد بن يسار، أنه سمع أبا هريرة يقول، قال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله)[3]، و(عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: على كل مسلم صدقة، فقالوا: يا نبي الله فمن لم يجد، قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يجد، قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا فإن لم يجد، قال: فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة)[4].

والأحاديث النبوية التي تروى في فضل العمل والحث عليه، في كتب الحديث، ليست بالقليلة وهي تهدف إلى شحذ الهمم من أجل العمل، وتدعو إلى تآلف وتآذر المجتمع المسلم بحيث يكون كالجسد الواحد، فقد جاء في صحيح البخاري: (عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[5]، وأيضًا: (عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه

1- أمينة أحمد إمام الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، ص: 15، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) 1994م.

2- صحيح البخاري ج2-ص730.

3- صحيح مسلم ج2:ص702.

4- صحيح البخاري ج2:ص524.

5- صحيح البخاري ج1-ص14.

فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي علاجه)[1]، ويروى عن عمر بن الحطاب، أنه مر بقوم، بمكة، فرأى الخدم وقوفًا لا يأكلون مع سادتهم؛ فغضب وقال لسادتهم، مستنكرًا،: ما بال قوم يستأثرون على خدامهم!؟ ثم دعا الخدم للأكل مع سادتهم في وعاء واحد[2]. تؤكد الأحاديث السابقة على مبدأ التشارك والمشاركة الاجتماعية، ولكنها ليست كالمشاركة في النظام الشوعي الذي انبنى على سيطرة الدولة وهيمنتها على جميع وسائل الإنتاج وموارده، ولعل ذلك هو السبب الرئيس في فسادها، بجانب بعد الدولة عن كل معتقد ديني إيماني؛ الأمر الذي أسهم في فشل النظرية وتفكك الأنظمة الشيوعية.

لقد نحا النظام المالي في الإسلام منحًا مختلفًا عن كل من الاقتصاد الرأسمالي والإشتراكي، حينما تفهم طبيعة النفس الإنسانية وشغفها بحب المال، قال تعالى:

(وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) الفجر:20.

ولننظر إلى هذه الآيات (محمد: 36-38) وهي تنقل إلينا مشهدًا تصويريًا، يعبر عن شدة الحرص والبخل المتمكن والمتحكم في النفس الإنسانية، وهي تدعونا، في نفس الآن، إلى احياء الجانب الإيماني المشرق من النفس، وتمنينا بنعيم لا يوصف ولا ينفد في الدار الآخرة.

(إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ * هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ) محمد: 36-38.

من هنا اتسعت هوة الفروقات بين الأنظمة الاقتصادية الثلاثة، النظام الاقتصادي الإسلامي من جانب، والنظامين الآخرين، اللرأسمال والاشتراكي، من جانب آخر، ففي حين غلّب الإسلام الجانب الروحي في الفرد والمجتمع نجد أن كلا من الاقتصادين الرأسمالي والاشتراكي قد أهملا الجوانب الروحية في الإنسان، وركزا، جميع جهودهما، على النواحي المادية من الإنسان، فلم يحالفهما النجاح، والواقع أن مفهوم الاقتصاد الإسلامي قد

1- (صحيح البخاري ج2:ص902.

2- السيد محمد بدوي: في علم الاقتصاد الاجتماعي، ص: 222، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية – مصر) 1988م.

تجاوز كل من النظم الرأس مالية والاشتراكية، والتي ركزت جهودها في إشباع الحاجات المادية الغريزية في الإنسان، دون الاهتمام بالقيم الأخلاقية والروحية التي أولاها الإسلام كل اهتمامه وعنايته، من خلال سعيه الحسيس وتركيزه على معالجة شؤون الحياة المجتمعية بكاملها كوسيلة للعيش الكريم؛ مما ينمي، في الإنسان الكثير من السمات والخصائص الروحية العليا التي تقوم على مبدأ الخوف من العقاب وانتظار الثواب في الآخرة[1]، يقول تعالى:

(وَ ابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) الإسراء: 77.

وإن كان الاقتصاد الرأسمالي، اليوم، قد أصاب حظًا من النجاح في هذه الحياة الدنيا، فإنه كالبرق الخلب أو السراب الخادع، يقول تعالى:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) النور: 39.

لذلك لابد من فك الارتباط بين النظم المالية في الدول المسلمة وبين النظام الرأسمالي الربوي الذي تعرض ويتعرض لكثير من مخاطر الإنهيار المالي، ولعل في ذلك فائدتان، الأولى تفادي مخاطر الإنهيار، أما الثانية فهي العودة إلى حظيرة النظام المالي الإسلامي الذي يقربنا من الله تعالى.

1- أمينة أحمد إمام الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، ص: 17، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) 1994م.

المبحث السادس: نظام التكافل الاجتماعي

إن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن الإسلام يقدم يد العون والمساعدة للمحتاجين دون منٍّ من أحد على أحد، لأن المن يفسد العمل ويحبطه، وهو منهي عنه، في الإسلام، ومجرم ومحرم كل التحريم، يقول تعالى:

(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة: 262.

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) الإنسان: 9-10.

ولننظر إلى قصة أبي بكر الصديق مع مسطح، وقد كان أبو بكر يتصدق عليه، من ماله، ويحسن إليه كثيرًا ولكن مسطحًا هذا قد تنكر له وجحد صدقاته عليه؛ وذلك عندما أتهمت السيدة عائشة بنت الصدايق في حادثة الإفك المعروفة، فخاض مسطح مع الخائضين، عند ذلك حلف أبو بكر أن لا ينفعه بشئ، أي أن لا يعطيه ولا يتصدق عليه أبدا؛ والسبب في ذلك هو أن مسطحًا كان في من تصدروا الحديث وأشاعوه، في حادثة الإفك، إلا أن أبا بكر، برغم ذلك، حينما سمع قوله تعالى

(وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) النور:22.

آب ورجع عن قسَمه، وقد جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية: وحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنافعة أبدا فأنزل الله تعالى **(وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ)** يعني أبا بكر **(وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ)** يعني مسطحا إلى قوله **(أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** فقال أبو بكر بلى والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا وعاد له بما كان يصنع[1].

أما الناظر إلى الغرب وما تدفق عنه من أموال ومساعدات، يسمونها إنسانية، ولكنها في الحقيقة بعيدة كل البعد عن الإنسانية، يجد أن الغرب يستخدم تلك المساعدات كوسيلة،

1- تفسير ابن كثير ج3-ص272.

قذرة، لتحقيق العديد من المآرب والأهداف الخاصة والأجندة الخفية، التي لا تخفى إلا على أعمى البصيرة، فالغرب يقدم تلك المساعدات في حالة الرضا ووفق مصالحه المادية، ويقطعها عن المحتاجين في حالة السخط وعدم الخضوع والامتثال لأوامره ورغباته، وهذه رزيلة لا ينكرها أحد، ولا حتى ذووها في الغرب أنفسهم، بل ربما يتباهون بها في أحايين كثيرة؛ ومع ذلك يريد الكاتب أن يشير إلى حقيقة يجب ألا ننكرها ألا وهي: أنه بالرغم من سبق الإسلام والمسلمين في هذا المضمار وتقدمهم في مجال التشريع والتقنين للتكافل الاجتماعي، إلا أن الغرب، اليوم، هو المتفوق، سواء أكان ذلك من حيث التنظيم الإداري أو من حيث حجم الأموال المتدفقة والمبذولة في هذا المجال، نقر ذلك عملاً بقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) المائدة:8.

يقول الغلاة من الشيوعيين إن الديمقراطية مستحيلة مع بقاء الفوارق بين الناس في المال أو في شؤون الرزق على العموم. وحقيقة الأمر أن الفوارق بين الناس متعدد ولا تنحصر في شؤون الرزق والثروة ...، وقد ثبت من التجارب أن التفاوت علامة حسنة وليست بالميزة الرديئة التي نسعى إلى التخلص منها ...، لأن الاختلاف بين أبناء النوع الواحد دليل على التقدم وتعدد المزايا والملكات[1]. بهذا يمكن القول بأن من البداهة أن يكون هناك تفاوت بين الناس في الكسب والرزق، في جميع المجتمعات البشرية، وبالنظر إلى النظام الاقتصادي في الإسلام نجده لا ينكر ذلك، قال تعالى:

(كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) الإسراء: 20-21.

وإنّا لعلى يقين تام من وجود حكمة ربانية اقتضت وجود مثل هذا التفاوت، في الكسب، بين الناس، ولسنا هنا في معرض التفصيل في هذا المجال، بقدر ما نحن معنيون بالحديث عن عدالة الاسلام وسعيه لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص، ومن ثم ترك المواهب، بعد ذلك، تعمل في الحدود التي لا تتعارض مع المبادئ الكلية والأهداف العليا للمجتمع والتي وضعت من أجل محاربة الفقر وتحقيق العدالة من خلال التكافل الاجتماعي، فمما لا شك فيه أن الإسلام

1- عباس العقاد: الديمقراطية في الإسلام، ص: 86، دار المعارف (القاهرة) ط6.

قد سعى سعيًا حثيثًا لمحاربة الفقر الذي تعوذ منه رسولنا الكريم، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، فقال: (وأعوذ بك من فتنة الغني وأعوذ بك من فتنة الفقر)[1]، وفي صحيح البخاري: (عن أم سليم أنها قالت: يا رسول الله أنس خادمك ادع الله له. قال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته)[2]. وكان رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، يثني كثيرًا على حسن المعاملة والتعامل بين الناس ويحث عليها، (عن جابر بن عبد الله رضي الله، عنهما أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)[3].

إن أجمل صورة للتكافل الاجتماعي وأروع مشاهد التعايش الإنساني يمكن أن تراها العين، لهي تلك اللوحة التي رسمها الأنصار والمهاجرون، في المدينة، وجسدوا معانيها السامية، حين احتضن الأنصار اخوتهم المهاجرين، من مكة، إنها لوحة تجسدت فيها كل معاني الإخاء الإنساني، إنها صورة نموذجية لم يعرف تاريخ الإنسانية لها مثلاً، لا من قبل ولا من بعد ولن تتكرر على الإطلاق، ولن نجد لها شبيهًا أو مثيلاً في التاريخ البشري، لقد اقتسم الأنصار أموالهم، ولكن المثل الأروع والأكمل تمثل في تنازل رجال الأنصار، عن زوجاتهم اكرامًا واعزازًا لإخوتهم المهاجرين، فكان بحق تمازج وتصاهر عرقي وروحي لم ولن يشهد العالم له نظير أو شبيه، فلم يكن التكافل الاجتماعي في الاسلام مجرد دعوة نظرية، وإنما جسده الإخوة المتحابون في الله، أنصار ومهاجرون، كواقع مشهود وحقيقة ملموسة؛ وبذلك يكون الإسلام قد قدم نموذجًا اقتصاديًا يعتبر هو الأمثل بل والأكمل والأفضل للبشرية دون مدافع ولا منازع، وقد تمثل ذلك في شخصية محمد، صلوات الله عليه وسلامه، وصحابته الكرام، رضوان الله عليهم أجمعين، الذين عرفوا قيمة المال، ولكنهم لم يتخذوه غاية، وإنما جعلوا منه وسيلة عبادة وتقرب إلى الله تعالى (عن بن عباس قال: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله، صلى، الله عليه وسلم، أجود بالخير من الريح المرسلة)[4]، ولنتأمل موقفه الكريم، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، يوم فضل أناسًا، من أهل مكة الضعيف إيمانهم، على أناس من الأنصار، فغضب الأنصار ولكنه مثل النموذج

1- صحيح البخاري ج5:ص2344.
2- صحيح البخاري ج5:ص2344.
3- صحيح البخاري ج2-ص730.
4- صحيح البخاري ج1-ص6.

الأعلى والمثل الأرفع حين امتص غضبهم وحوله إلى رضىً، فخطب فيهم قائلاً: أوجدتم، يا معشر الأنصار، في لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون، يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرئ من الأنصار ...[1]، إنها كلمات قليلة ضمنها المصطفى معان عظيمة وجليلة، فتحول موقف الأنصار من السخط والغضب إلى الرضى والقبول والفرح والسرور، فالمال لا قيمة له، مهما كثر، مقارنة بما ينتظر الأنصار من نعيم أبدي خالد، فباعوا الفانية بالباقية، قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) التوبة: 111.

(وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) الزخرف:33-35.

وبالرغم مما للمال من سحر يعشي العيون، وربما لا يتمكن الكثير من الناس من مقاومة سحره، إلا أن الله قد عصم زمرة من المسلمين عن أن يخوضوا مع الخائضين في هذه الفتنة، قال تعالى:

(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) القصص: 79-80.

تأمل كيف شكل المال فتنة لفئة كثيرة من الناس في الآية الأولى، أما الذين رزقهم الله العلم فقد نظروا للمال بعين أخرى غير تلك التي نظرت بها الفئة الأولى؛ ولذلك فضلوا ثواب الآخرة على متاع الحياة الدنيا، وفي ذلك إشارة واضحة الدلالة إلى أن الله قد عصم العديد من الصحابة الكرام من فتنة المال، فتركوا زخرف الدنيا باحثين عن نعيم الآخرة، فهذا هو أبو بكر الصديق يجسد لنا مشهدًا حيًا وواقعًا لا تخطئه الأعين، (عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أمرنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم،

1- عباس العقاد: عبقرية محمد، ص: 91، وزارة الثقافة والفنون والتراث (قطر)، 2013م.

يوما أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم،: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسابقك إلى شيء أبدا)[1]. ولنقف مع صهيب ونستمع إلى كلماته التي يزدري فيها الدنيا بما فيها من حلي وذهب: (عن صهيب قال: قال، رسول الله، صلى الله عليه وسلم،: أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرة فإما أن تكون هجرا أو تكون يثرب. قال: وخرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة وخرج معه أبو بكر، رضي الله عنه، وكنت قد هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد فقالوا قد شغله الله عنكم ببطنه ولم أكن شاكيا فقاموا، فلحقني منهم ناس بعد ما سرت بريدا ليردوني، فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وتخلون سبيلي وتفون لي، فتبعتهم إلى مكة فقلت لهم أحفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواق واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين وخرجت حتى قدمت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قبل أن يتحول منها يعني قباء فلما رآني قال: يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا، فقلت: يا رسول الله ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام[2]. أما أسماء بنت الصديق فقد كان موقفها عجبًا، ولنقرأ كلماتها، وهي تحدث عن سلوك أبيها وتصرفه في المال، بعد إسلامه، فتقول: لما هاجر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهاجر معه أبو بكر، احتمل معه ماله كله ...، فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره. وقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله كما فجعكم بنفسه. قلت: كلا يا أبت ...، وأخذت أحجارًا ووضعتها في كوة البيت ...، ثم أخذت بيده وقلت: ضع يدك على هذا المال، فوضع يده عليها وقال: لا بأس...، والله ما ترك لنا شيئًا ولكني أردت أن أسكن الشيخ[3]. إنها بحق زرية بعضها من بعض، فاسحق، أبابكر، من صاحبه الاطراء والثناء: (عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر. قال: فبكى أبو بكر، وقال: يا رسول الله هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله)[4]، وفي رواية ابن حنبل:

1- المستدرك على الصحيحين ج1-ص574.

2- المستدرك على الصحيحين ج3-ص452.

3- عباس العقاد: عبقرية الصديق، ص: 88، وزارة الثقافة والفنون والتراث (قطر) 2012م.

4- سنن ابن ماجه ج1-ص36.

وهل نفعني الله الا بك وهل نفعني الله الا بك وهل نفعني الله الا بك[1]. إنه بحق النموذج الأكمل للتعامل مع المال.

ولنأخذ الدروس ونستخلص العبر من شخصية أخرى هي شخصية الفاروق عمر بن الخطاب وهو القائل: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا، لأنه اشترى بلالاً وأعتقه، وقد قال أبو بكر، في ذلك: لو أبو إلا وقية لدفعتها لهم، أي للمشركين الذين اغلوا من ثمن بلال. وقد عرفت عن عمر الغلظة والشدة في محاسبة نفسه، والآخرين ممن اتصلوا به أو تولوا له المناصب، فمما يروى عنه أنه مر بدار مميزة عن غيرها من الدور، فقال: لمن هذه؟ فقيل: لأبي هريرة، والكل يعرف قدر هذا الصحابي الجليل، فقال عمر، قولته المشهورة،: أبت الدراهم إلا أن تمد أعناقها، ثم استدعاه وسأله عن مصدر ماله وثروته، فقال أبو هريرة كنت اتجر وأنا بالبحرين، فقال له عمر: بعثناكم عمالاً لا تجارًا، ثم شاطره ماله نصفين نصف لبيت المال ونصف لأبي هريرة، ولنستمع لأبي هريرة وهو يقول: والله لقد خشيت أن يشاطرني نعلي فيأخذ واحدة ويدع لي الأخرى، ولم يكن أبو هريرة هو العامل الوحيد الذي شاطره عمر ماله، فقد شاطر عبد الله بن عباس، وخالد بان الوليد ....، فأي شدة هذه التي بلغها عمر في محاسبته لنفسبه ولغيره، ويأبى عمر إلا أن يرينا من نفسه ما لا تصدقه الأنفس ويضرب لنا المثل الأسما في المساواة بينه وبين العامة من الرعية؛ وذلك حين رأى الشدة التي حلت بالمسلمين في عام الرمادة فأبى إلا أن يشارك الناس في ما حل بهم، إذ علم أن الناس، من حوله، لا يجدون السمن، فحرم السمن على نفسه وصبرها على الخبز الجاف والزيت، فقال يومًا، مخاطبًا بطنه، قرقري ما شئت فليس لك إلا الزيت، وقد أثر ذلك في جسده وتغير لونه، فأبى أن يخصب إلا بعد أن يخصب الناس[2]، ولعمر مواقف أخرى يعجز اللسان عن وصفها ويحار القلم في كتابتها؛ وذلك حين رأى إبلاً حسنة المنظر والمظهر، فسأل عن صاحبها، فقيل له: إنها لابنك عبد الله، وعبد الله هذا هو ذلك الفتى الذي كان يسير في المدينة حافيًا، ورعًا، وهو يقول: «لعل خفًا تقع على خف»، ولكن ورعه هذا لم يشفع له عند عمر، وهو والده، فناداه وقال له: سيقول الناس اسق إبل ابن أمير المؤمنين ارع إبل ابن أمير المؤمنين ....، وطلب إليه بيعها، وليت الشدة وقفت عند هذا الحد، بل تجاوز العدل كل

1- مسند أحمد بن حنبل ج2-ص366.

2- السيد محمد بدوي: في علم الاقتصاد الاجتماعي، ص: 201، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية – مصر) 1988م

الحدود الإنسانية، حين أمره أن ينظر رأس ماله فقط ثم يرد المتبقي لبيت مال المسلمين، وما كان من الابن إلا وأن انصاع لأمر والده.

لم يعد للمال أي بريق في عيني عمر التي ملأها الخوف من الجليل فكان مثالاً قل أن يوجد له نظير في العدل الاجتماعي، إذ يحكى عنه أن اثنين من بنيه جاءا بخراج كان قد بعثه معهما عامل العراق، فاستخدماه في التجارة، وعندما بلغا المدينة أخذا أرباحهما وأودعا المال في بيت مال المسلمين، فعلم عمر بذلك، فانظر ماذا فعل، فما كان منه إلا أن استرد منهما ما أخذاه من أرباح وردها إلى بيت المال، هذا هو موقف عمر، غير أن بعض الصحابة ممن يثق برأيهم عمر، قال له: هلا جعلتها لهما مضاربة يا أمير المؤمنين، فاستحسن عمر رأيه، فناصفهما الأرباح نصف لهما ونصف لبيت المال. ومن الثابت أن لعمر أثرًا اقتصاديًا في الاسلام فهو أول من دون الدواوين والتي من أهمها ديوان العطاء وديوان الجباية والخراج[1]؛ والسبب في ذلك أن المال قد كثر في عهده وظهرت مشكلة إذ لم يكن من نظام سابق يجري عليه في توزيع المال، ولما كان المال من مسئوليته، عمل عمر على استشارة ذوي الرأي فأشاروا عليه بتدوين الدواوين فاطمأن لها، فعادت بالخير الوفير على السلمين والإسلام. لا شك أن هذه الصورة التي يرسمها لنا عمر تمثل العدل في أسمى معاليه وأجمل معانيه، كيف لا، وقد تربى في كنف مدرسة النبوة المحمدية، تلك المدرسة النبوية الربانية التي تعتز وتهتز شرفًا وعزة بأن قدمت للبشرية هذا النموذج الذي لا يضاها عدلاً وورعًا، وسيظل التاريخ يحفظ اسمه، ويكتبه بأحرف من نور وبمداد من ماء الذهب، ما امتدت بالبشرية أيامها، كنموذج للعدل والعدالة الإنسانية في أسما وأبهى صورها، يقول تعالى:

(رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) النور: 37-39.

وهكذا فإن الإسلام حينما عمل على تحقيق العدالة الاجتماعية كاملة، ارتفع بها عن مفهوم العدالة الاقتصادية المحدودة، فسما بها إلى مفهوم العدالة الإنسانية الشاملة

1- فاروق مجدلاوي: الادارة الإسلامية في عهد عمر، ص: 167، روائع مجدلاوي، (عمان - الأردن) 1998م.

والمتكاملة الجوانب، وجعلها، أولاً، تنبعث من داخل الفرد أي من قوة الضمير والنفس الإنسانية، ثم سن لها القوانين والتشريعات ثانيًا، ليترتدع بالسلطان من لم يرتدع بالقرآن، فالعدالة الاجتماعية، في الإسلام، يجب ألا تأتي من خشية السلطة التنفيذية والقانونية، وإنما يجب أن تنبع من الضمير الإنساني وخشية الله تعالى، يقول تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) الملك: 12.

المبحث السابع: التشريعات والقوانين

قبل بدء الحديث عن القوانين والتشريعات الإسلامية، لابد تقرير حقيقة جوهرية ثابتة في نفس كل مؤمن مخلص قوي الإيمان، وهي أن المال مال الله تعالى، وما الناس إلا خلفاء أو وكلاء قيمون عليه، وعليهم أن يتصرفوا فيه وفق هذا المنهج السلوكي التربوي الرباني، يقول تعالى:

(آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) الحديد: 7.

(وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ) النور: 33.

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) النساء: 5.

لم يكتف التشريع الاسلامي بتقديم نماذج إنسانية وبشرية حية للعدل، لئلا يقول الناس، إن أولئك كانوا صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولن نتمكن من مجاراتهم، كما أنه لم يترك مسألة دفع الأموال وإخراجها مسألة شخصية، من شاء أخرج المال، على سبيل الصدقة، ومن ولم يشأ لم يخرج من ماله شيئًا، لا؛ فالأمر هنا ليست بالخيار وإنما هناك فروض في مال المسلم واجب عليه إخراجها كالزكاة، يخرجها الفرد طائعًا مختارًا، أما إن أبى فتؤخذ منه عنوة وبالقوة، وبجانب الزكاة المفروضة في الأموال هناك زكاة الفطر والنذور والكفارات، ومن أجل ذلك عمد الإسلام إلى سن القوانين وفرض التشريعات المالية التي تحفظ للفقير كرامته وتعينه على قضاء حوائجه، فقد روي عن الصحابي الجليل، أبو زر القفاري، قوله: عجبت لرجل لا يجد قوت يومه كيف لا يخرج على الناس شاهرًا سيفه. ولكي لا تحدث تلك الفتنة وضع الإسلام القوانين الصارمة المستنبطة من القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة، فكانت الزكاة هي أعظم التشريعات وأوسع أبواب الرزق والتوسعة على الفقراء والمساكين، ومع اتساع هذا الباب إلا أن الزكاة لم تكن هي الباب الوحيد من أبواب البذل والعطاء في سبيل الله فبالاضافة إلى الزكاة كمورد رزق للمحتاجين نجد: زكاة الفطر، الصدقات، والكفارات، والنذور، الوقف، الهدية، والهبة، والإنفاق في سبيل الله دون حد وغيرها من أبواب البر والخير المشرعة دومًا أمام الخيرين وأهل الخير.

ـ أولا: الزكاة:

لم يتهاون الإسلام في ضبط شؤون هذه الشعيرة التعبدية، وإنما تشدد فيها وفي ما يتصل بها من جمع: (عن أبي حميد الساعدي قال: بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رجلا من أهل اليمن على زكاتها، فجاء بسواد كثير فإذا أرسلت إليه من يتوفاه منه، قال: هذا لي وهذا لكم فإن سئل من أين لك هذا؟ قال: أهدي لي، فهلا إن كان صادقا أهدي له وهو في بيت أبيه أو أمه، ثم، قال: لا أبعث رجلا على عمل فيغتل منه شيئا إلا جاء به يوم القيامة على رقبة بعير له رغاء أو بقرة تخور أو شاة تيعر ثم قال اللهم هل بلغت فقال بن الزبير لأبي حميد أنت سمعت هذا من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: نعم). وللنظر إلى الجانب اللين من شخصية نبينا الكريم، صلى الله عليه وسلم، وهو يوصي الصحابي معاذ بن جبل: (عن بن عباس رضي الله عنهما قال: قال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لمعاذ بن جبل، حين بعثه إلى اليمن، إنك ستأتي قومًا أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)[1]، ولعل التدرج، هنا، لا يخفى على ذي بصيرة، ولكن الجزء الأهم، في هذه الوصية، هو تلك المشاعر النفسية النبيلة التي نلمسها في قوله، صلى الله عليه وسلم، إياك وكرائم أموالهم، فمن المعروف أن الزكاة، في البدء، تخرج طوعًا واختيارًا، ولكن على المسلم أن يقدم أطيب ما لديه دون اكراه من أحد.

والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي دومًا ما تقترن بالصلاة في آي القرآن العظيم، وفي ذلك دلالة على المكانة السامية التي تتبوأها هذه الشعيرة في التشريع الإسلامي، فنحن قد نجد الصلاة والصوم في ملل أخر غير ملة الإسلام أما الزكاة، بصورتها التي بينها الإسلام، فلا نظير لها في جميع الأديان، سماوية كانت أو غير سماوية، فهي تشريع إسلامي صرف، قال تعالى:

1- صحيح البخاري ج2-ص544.

(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) التوبة: 60.

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) التوبة: 103.

(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) المعارج: 24-25.

(وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) المؤمنون: 4.

والزكاة[1] حق المال وهي عبادة من ناحية، وواجب اجتماعي مستحق من ناحية أخرى، كما أنها تمثل الطهارة والزيادة؛ طهارة للنفس وابراء لذمة مؤديها عندما يخرجها بنية التقرب إلى الله تعالى، وباعتبارها حق الجماعة في عنق صاحبها، ولتكفل الكفاية للفقير المحتاج، فالإسلام يأبى أن تكون هناك فوارق طبقية بحيث تعيش فئة في بحبوحة وترف، بينما يعيش غيرهم في ضيق وشظف، وعلى الفرد، في الإسلام، أن يسد حاجته من كده وعرقه، فإن عجز فمن مال الجماعة، وهذا حق وواجب توجبه تشريعات العقيدة الإسلامية، ليست بمنة أو تفضل من أحد [2]. والزكاة تحمل في ثناياها العديد من الأبعاد، الدينية العقدية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية..، فهي تنعكس على جميع أفراد المجتمع بالنفع والخير الوفير، من خلال ما تحققه من توازنات مالية واقتصادية وتنموية، وفوق كل هذا وذاك فهي قيمة إنسانية وشعيرة دينية يتحقق بها التطهر من الأدران الحسية والمعنوية وسمو بالروح إلى أعلى عليين.

ـ الإبداع والإبتكار:

يمكننا القول بأن بين تلافيف وخلايا العقول المفكرة تكمن العديد والكثير من الأفكار المفيدة للفرد والمجتمع، ومن تلك الأفكار يتولد الإبداع والإبتكار؛ وبناء عليه أود أن أطرح، في هذه الدراسة، فكرة مختصرة يمكن تطويرها والاستفادة من نتائجها الاقتصادية، وخلاصة الفكرة هي: «أنه بالإمكان الاستفادة من بعض مصارف الزكاة، غير المستخدمة اليوم، كسهم

1- المقصود هنا كل أنواع زكاة المال، أي كل ما يمكن أن يقوم، ولا يريد المؤلف أن يفصل في أنواعها لضيق المساحة.
2- السيد محمد بدوي: في علم الاقتصاد الاجتماعي، ص: 207، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية – مصر) 1988م.

المؤلفة قلوبهم، والغارمين، وابن السبيل، في مجالات تمويل الأفكار الابداعية الخلاقة التي يبدعها الشباب من ذوي العقول المفكرة والهمم والطموحات العالية»[1]، فهناك العديد من أصحاب المشاريع والأفكار الاستثمارية النيرة والمخترعات الحديثة التي يمكن أن تفيد المجتمع المسلم وتعود عليه بالخير الوفير، ولا تحتاج إلا لمن يقدم لها التمويل، والاستثمار في مثل هذا النوع من الاستثمارات يعد من الاستثمارات المأمونة والقليلة المخاطر وهي ذات عائد أكثر وأوفر حظًا من سواها، فضلاً عن أنها تخضع لكثير من البحوث والدراسات حتى أتبتت جدواها المادية المرجوة منها، كما يمكن للجهة الممولة (ديوان الزكاة) أن يخضعها لمزيد من الدراسات والتمحيص حتى تطمئن القلوب لعملية التمويل، كما يمكنهم استشارة أهل الخبرة والاختصاص في كل مجال من المجالات العلمية وهم كثر ليبدوا رأيهم ووجهة نظرهم العلمية الدقيقة زيادة منهم على الحرص وإمعانًا في الطمأنينة القلبية. ولعل الناظر إلى الغرب وما فيه من تطور تقني وعلمي، اليوم، يشهد ما تغدقه المؤسسات المالية من أموال لا تحصى ولا تعد نظير الفوز بفكرة أو اختراع جديد، وتشير العديد من البحوث والدراسات إلى أن هناك الكثير من العقول التي تجوب العالم، شرقًا وغربا، باحثة عن الجديد ومستهدفة المختراعت العلمية والأفكار الاستثمارية ذات العائد المالي الكبير؛ لتظفر بها قبل الآخرين، فهم في سباق دائم وتطلع لا ينقطع للجديد المبتكر، إذ أنهم يتطلعون إلى المستقبل بعيون مفتوحة وقلوب مستبصرة ويعملون ليلاً ونهارًا وبلا كلل ولا ملل في سبيل الجمع بين صاحب المال وصاحب الفكرة أو الاختراع، وعلى صاحب الفكرة أن يبذل الكثير من الجهد ليكون مقنعًا ولينال التمويل، لمشروعه أو فكرته، من صاحب المال، فأصحاب رأس المال يتسمون بالجبن والخوف على أموالهم فلا يخرجونها إلا إذا اطمأنت قلوبهم إلى وجود العائد، بل والعائد المغري الذي يسيل له لعاب المستثمر، وهذا هو الأسلوب المتبع في الحصول على التمويل في كثير من أنحاء العالم. وربما كان من المفيد، هنا، أن نذكر بجهود المخترع الأمريكي الذي قام، في العام 1803م، بمجهودات ضخمة في سبيل تصميم آلة تعمل باالبخار، ونجح في مسعاه ولكنه فشل في الحصول على التمويل اللازم لاختراعه من الفرنسيين، حيث كان يقيم في فرنسا، فلما يئس منهم توجه بمشروعه إلى بلاده، فصادف هوىً في نفوس الأمريكان المولعين

1- عبد الرحمن العيسوي: موسوعة ميادين علم النفس، ص: 102، علم النفس الإعلامي ج7، دار الراتب الجامعية (مصر) 2004م.

بكل جديد فما كان منهم إلا أن وفروا له الأموال اللازمة لمشروعه الاستثماري العظيم، والذي لاقى نجاحًا منقطع النظير، وقد ندم الفرنسيون كثيرًا فيما بعد على تفريطهم في ذلك المشروع أيما ندم، ولكنه ندم حيث لا ينفع الندم.

إن من أسباب تقدم الغرب العناية بمن اخترع أو ابتكر ما ليس له مثيل ولم يسبق إليه، وأيضًا يحتفون بمن أجاد في عمل مفيد، حيث كانوا يعقدون مجلسًا، كل أربع أو خمس سنوات، يتكون من العارفين والعالمين المستبصرين بحقائق العلم والعلوم، لينظر في كل جديد ومبتكر فإن وجدوا في تلك المخترعات المقدمة إليهم ابداعًا وابتكارًا جديدًا منحوا صاحبه جائزة، وبذلك تطورت لديهم العلوم وتكاثرت الجوائز[1].

فليت المسئولون عن أموال الزكاة، وأصحاب رؤوس الأموال، ينهجون هذا النهج بتقديمهم الجوائز والحوافز للمبدعين وأن يعملوا على تبني الأفكار الجديدة والمبتكرة ليزدهر الاقتصاد وتعم الفائدة على المجتمع المسلم.

ـ ثانيًا: زكاة الفطر:

تعتبر من الفروض الواجبة الأداء في التشريع الإسلامي، وقد شدد الفقهاء في إخراجها قبل صلاة عيد الفطر، لكي تمنع الفقراء من ذل السؤال في هذا اليوم: (عن بن عمر، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين).

ثالثًا: الكفارة:

يقول تعالى:

(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) المائدة: 89.

1- خير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، ص: 104، وزارة الثقافة والرياضة، (قطر) 2017م.

ـ رابعًا: النذر:

يقول تعالى:

(يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) الإنسان: 7-10.

ـ خامسًا: الصدقات:

يقول تعالى:

(إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) البقرة:271.

ـ سادسًا: الديات:

يقول تعالى:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) النساء: 92.

ـ سابعًا الدَّين:

للديون أهمية كبرى في تشريعات العقيدة الإسلامية ويكفي أن أطول آي القرآن العظيم قد وردت في شأن الدين يقول تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) البقرة: 282.

وفي صحيح البخاري: (عن جابر، رضي الله عنه، قال: أصيب عبد الله وترك عيالا ودينا فطلبت إلى أصحاب الدين أن يضعوا بعضا من دينه فأبوا فأتيت النبي، صلى الله عليه وسلم، فاستشفعت به عليهم فأبوا، فقال: صنف تمرك كل شيء منه على حدته عذق بن زيد على حدة واللين على حدة والعجوة على حدة ثم أحضرهم حتى آتيك ففعلت، ثم جاء، صلى الله عليه وسلم، فقعد عليه وكال لكل رجل حتى استوفى وبقي التمر كما هو كأنه لم يمس وغزوت مع النبي، صلى الله عليه وسلم، على ناضح لنا فأزحف الجمل فتخلف علي فوكزه النبي، صلى الله عليه وسلم، من خلفه، قال بعنيه ولك ظهره إلى المدينة، فلما دنونا استأذنت، قلت يا رسول الله إني حديث عهد بعرس. قال: صلى الله عليه وسلم، فما تزوجت بكرا أم ثيبا؟ قلت: ثيبا، أصيب عبد الله وترك جواري صغارا فتزوجت ثيبا تعلمهن وتؤدبهن، ثم قال: ائت أهلك. فقدمت فأخبرت خالي ببيع الجمل فلامني فأخبرته بإعياء الجمل وبالذي كان من النبي، صلى الله عليه وسلم، ووكزه إياه فلما قدم النبي، صلى الله عليه وسلم، غدوت إليه بالجمل فأعطاني ثمن الجمل والجمل وسهمي مع القوم)[1]. وأيضًا ورد في سنن أبي داود: (عن أبي سعيد الخدري، قال: دخل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة ما لي أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: أفلا أعلمك كلاما إذا أنت قلته أذهب الله، عز وجل، همك وقضى عنك دينك قال: قلت بلى يا رسول الله، قال: قل، إذا أصبحت وإذا أمسيت، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل

1- صحيح البخاري ج2:ص847.

وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال. قال: ففعلت ذلك فأذهب الله، عز وجل، همي وقضى عني ديني)[1].

ـ ثامنًا: الميراث:

هو نظام إسلامي يمثل أرفع وأرقى الأساليب في تفتيت الثروة وتوزيع الأموال بين أقارب المتوفي، يقول تعالى:

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) النساء: 11.

ـ تاسعًا: الهدية:

هي أسلوب محبب إلى النفس البشرية يعمل الناس، من خلاله، على التقارب والتآلف في ما بينهم، يقول رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم: (عن أبي هريرة، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي كراع لقبلت)[2]، كذلك جاء موطأ الإمام مالك: (قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء)[3].

عاشرًا: الهبة:

هي عبارة عن أعطية تمنح للأقارب والمعارف، على سبيل التودد والاستحباب، يقول رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، : (عن بن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال: النبي، صلى الله عليه وسلم، العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه ليس لنا مثل السوء)[4]، وكذلك جاء في صحيح البخاري: (عن عامر، قال: سمعت النعمان بن بشير، رضي الله عنهما، وهو

1- سنن أبي داود ج2-ص93.
2- (صحيح البخاري ج5-ص1985.
3- موطأ مالك ج2-ص908.
4- صحيح البخاري ج6-ص2558.

على المنبر يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأتى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم قال فرجع فرد عطيته)[1].

ـ الحادي عشر: الوصية:

هي أشبه بالهبة، غير أنها تؤول للوصي بعد وفاة الموصي، يقول رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم: (عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: عادني النبي، صلى الله عليه وسلم، فقلت أوصي بمالي كله قال لا قلت فالنصف قال: لا، فقلت: أبالثلث؟ فقال: نعم والثلث كثير)[2].

ـ الثاني عشر: في سبيل الله:

إنها الصدقات والأموال التي يخرجها الناس، في شتى ضروب الخير، بنية التقرب إلى الله تعالى، يقول تعالى:

(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَ ابِلٌ فَآَتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَ ابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة: 264-265.

(الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) الأنفال: 3-4.

ومع كثرة أبواب انفاق المال، في الإسلام، إلا أنه لم يسمح، يومًا، بالتبطل والكسل والاعتماد على ما يخرجه الناس من صدقات وهبات وزكاة أموالهم، وغيرها مما ينفق في سبيل الله، وإنما دعا الناس إلى العمل بجد واجتهاد، وحببه إلى نفوسهم من أجل اكتساب الرزق والعيش بكرامة وعدم سؤال الناس حيث يقول رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم:

1- صحيح البخاري ج2-ص914.

2- صحيح مسلم ج3-ص1252.

(عن أبي عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف، أنه سمع أبا هريرة، رضي الله عنه، يقول، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم،: لئن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه)[1].

(عن بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف والمسألة، اليد العليا خير من اليد السفلى فاليد العليا هي المنفقة والسفلى هي السائلة)[2].

(عن أبي هريرة، قال: قال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان) [3].

1- المصدر السابق، ص:1252.

2- (صحيح البخاري ج2-ص519.

3- صحيح مسلم ج4-ص2052.

المبحث الثامن: تحريم الفساد

إن المتأمل في كثير من آي القرآن العظيم وأقوال نبينا الكريم، صلى الله عليه وسلم، يلمح أن حياة المسلم تمتد، في حركتها ونشاطها، بين فعلين هما، افعل ولا تفعل، أي أنها تقع بين الأمر والنهي، قال تعالى:

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) الحشر:7.

كذلك جاء في صحيح مسلم، قوله، صلى الله عليه وسلم،: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم)[1].

وعلى المسلم أن يسعى ويجتهد في استغلال هذه المساحة المتاحة له، وأن يعمل بجد وإخلاص، وعلى قدر طاقته وإمكاناته، في هذا المجال الذي يقع بين الفعلين، غير أن هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام، وهي أن الاجتهاد في مساحة افعل واسعة وفيها الكثير من البراح، بينما تكاد لا توجد فسحة في مجال النهي (لا تفعل)، فالفعل المستخدم في الآية (**فَانْتَهُوا**)، وفي الحديث (**فاجتنبوه**)، وكلاهما يدل على الصرامة الشديدة في المنع والتحريم، أي أنه لا يوجد أدنى قدر من المسامحة أو السماح باقتراف الأمور المنهي عنها أو حتى مجرد مقاربتها، وفي هذا دلالة واضحة وبينة على قوة المنع، وقد استخدم هذا الأمر بالنهي في عدة مواضع تتعلق بمنع وتحريم اكتساب الأموال من وجوه غير شرعية:

1. ينهانا الإسلام عن أن نأكل أموالنا بالباطل، ويمنعنا ومن اكتسابها من غير وجه حق، قال تعالى:

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) البقرة: 188.

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) البقرة: 174.

2. وأيضًا تحرم قوانين الشريعة الإسلامية أكل أموال اليتامى، قال تعالى:

1- صحيح مسلم ج4-ص1830.

(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) النساء:10.

3. وقد غلظت التشريعات في الإسلام من تحريم التكسب من الخمر، الميسر، ....، وهي من أكبر الرزائل المدمرة للبناء المجتمعي والعاملة على تفككه، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) المائدة: 90.

وجاء في الحديث النبوي: (لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه وبايعها ومشتريها وآكل ثمنها)[1].

4. كما تنهانا القوانين والتشريعات الإسلامية عن التكسب من خلال ممارسة البغاء، يقول تعالى:

(وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) النور: 33.

5. ويحرم الإسلام قضاء الحوائج والحاجات من خلال دفع الرشوة، التي تعد من العناصر المدمرة لكل نشاط اقتصادي وتنموي في كل مجتمع، فقد جاء في كتب السنة النبوية الشريفة: (عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الراشي والمرتشي)[2].

6. ويأبى الإسلام على المسلم أن يكون مخادعًا وغشاشًا يخدع الناس في تعاملاته، سواء أكانت مالية أو غير مالية، فقد جاء في صحيح مسلم: (عن أبي هريرة، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس من غش فليس مني)[3].

1- المستدرك على الصحيحين ج4-ص160.

2- المستدرك على الصحيحين ج4-ص115.

3- صحيح مسلم ج1:ص99.

7. وتعد ظاهرة التعملات الربوية من أعظم وأفدح الرزائل التي عمل الإسلام على تحريمها والنهي عن ممارستها في المجتمع المسلم، ولعل السبب لا يخفى على أحد، فالتعامل بالفوائد الربوية يعتبر ثغرة واضحة لاستغلال حاجة الفقراء والمساكين، وأيضًا تفتح الأبواب لجشع الجشعين ونهم النهمين للمال، الأمر الذي يشكل مدعاة لفساد المجتمع بكامله، قال تعالى:

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة: 275.

الفصل الثاني:

المنهج الاقتصادي في السيرة النبوية، النموذج والتطبيق

المبحث الأول: الاقتصاد وأهميته

المبحث الثاني: مجتمع الفضيلة

المبحث الثالث: منهجه صلى الله عليه وسلم الاقتصادي

المبحث الرابع: الحج والمنافع الاقتصادية

المبحث الخامس: حديث الذبابة

المبحث السادس: أهل الصفة

المبحث السابع: الأثر الاقتصادي والاجتماعي للزكاة

ـ تقديم:

تم في الفصل الثاني (المنهج الاقتصادي في السيرة النبوية، النموذج والتطبيق) من هذا الكتاب، طرح مفهوم الاقتصاد الإسلامي، باعتباره نموذجًا اقتصاديًا متكاملاً، يصلح لحل جميع المشكلات الاقتصادية التي تعاني من ويلاتها المجتمعات البشرية، لاسيما العربية والإسلامية منها، التي ما فتئت تتردد وتتخبط بين تطبيق النظام الرأسمالي الغربي، والنظام الاشتراكي، متجاهلة النموذج الحي الذي بين يديها، وهو نموذج مثالي سهل التطبيق والتنفيذ، ومتوافق مع الفطرة الإنسانية السوية والقيم الأخلاقية السليمة، وفي نفس الوقت لديه قابلية المرونة والتطويع ليساير جميع تطورات العصر ..، إنه المنهج الاقتصادي الذي طبقه رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، من أجل بناء مجتمع الفضيلة في المدينة المنورة. وتمت مناقشة هذا النموذج الاقتصادي وسبل الاستفادة منه، من خلال المباحث التالية:

- الاقتصاد وأهميته.
- مجتمع الفضيلة.
- منهجه، صلى الله عليه وسلم، الاقتصادي.
- الحج والمنافع الاقتصادية.
- حديث الذبابة
- أهل الصفة.
- الأثر الاقتصادي والاجتماعي للزكاة.

يعتبر البناء الاقتصادي هو اللبنة الأولى، والفكرة الرئيسة لبناء المجتمع الفاضل، الذي يقوم على القيم والأخلاق الإنسانية النبيلة، والتي تدعو إلى وحدة المجتمع وتكاتفه؛ من هذا المنطلق نجد أن رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، قد اهتم بموضعين، عند تأسيسه لدولة الإسلام بالمدينة، هما: المسجد والسوق، فهما من أهم الأماكن التي حظيت، لدى رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، بالعناية والاهتمام؛ مما يدل على وجود علاقة راسخة بين حركة النشاط الاقتصادي، وبين الشعور الإيماني، ولكلا الموضعين تأثير عظيم

في بناء الدولة وتأسيس نظام الحكم. وهناك العديد من الأحاديث النبوية التي ترسخ لمفهوم التكافل الاقتصادي[1]:

❖ (عن عائشة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: ليس بالمؤمن الذي يبيت شبعانا وجاره جائع إلى جنبه).

❖ (مر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، برجل بالسوق يبيع طعامًا بسعر هو أرخص من سعر السوق، فقال: تبيع في سوقنا بسعر هو أرخص من سعرنا؟ قال: نعم، قال: صبرًا واحتسابًا؟ قال: نعم، قال: أبشر فإن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله).

❖ (عن معقل بن يسار، قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغلي عليهم كان حقا على الله أن يقذفه في معظم جهنم رأسه أسفله).

1- المستدرك على الصحيحين ج2-ص15.

المبحث الأول: الاقتصاد وأهميته

يقول تعالى:

(وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) النور:33.

(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) الحديد:7.

إن القارئ التالي لكتاب الله الكريم، والمتتبع لسنة نبينا الكريم، صلى الله عليه وسلم، يشهد حضورًا عظيمًا لفقه المعاملات، في القوانين والتشريعات الإسلامية، والتي تركزت حول النشاط الاقتصادي والتعاملات التجارية في الأسواق، وغيرها مما يدور بين الناس من تعاملات مالية، الأمر الذي أسهم في تحقيق منتهى الدقة والضبط في المعاملات المالية المرتبطة بحركة الأموال في شتى المعاملات التجارية والأسواق ...، وفي كل ما من شأنه أن يحرك عجلة الاقتصاد ويسهم في تيسير التعامل التجاري والاقتصادي بين جميع فئات المجتمع، غير أن الإسلام لم يقف عند حد التشريع وسن القوانين، فقط، من أجل الحفاظ على الحقوق من الضياع، وإنما سعى إلى بث قوة إضافية تتمثل في وجود الوازع الديني والخلقي، النابع من ضمير الفرد والمجتمع، ويدخل ذلك في جميع المعاملات المالية والاقتصادية، قال تعالى:

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) البقرة:188.

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) النساء: 5.

وعلى الرغم من أن الآيتين (البقرة:188، والنساء 5) تنسبان المال إلى العباد، إلا أن الحقيقة، التي لا ينبغي أن تغيب عن الأذهان، وتؤكدها العديد من الآيات القرآنية، هي أن المال ما هو إلا منحة ربانية من الله تعالى لعباده، قال تعالى:

(إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) الإسراء:30.

(وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) النور:33.

(آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) الحديد:7.

وبناء عليه يمكن القول بأنه من واجب العباد أن يتقيدوا ويتشبثوا بتلك القوانين والتشريعات التي سنها الدين الإسلامي، في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وألا يفرطوا فيها باتباع شهوات النفس وملاهيها، فيقعوا فريسة للمحرمات والممنوعات، إذ إن الإسلام قد اهتم، أيما اهتمام، بجميع وسائل كسب العيش، كما أمعن في التفريق بين الحلال والحرام امعانًا لا يوجد له شبيه أو نظير في جميع قوانين البشرية[1]، فالإسلام يمنع كل عمل أو منفعة تتسبب في ضرر الفرد أو المجتمع، في حين أنه يشجع على كل عمل يجلب مصلحة العامة أو الخاصة، وفي هذا الصدد يقول رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، (الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقي المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[2]، والحديث واضح الدلالة، فهو يدعو إلى الابتعاد عن كل ما نهى الله عنه دون أدنى تردد أو حتى مجرد تفكير فيه، يقول تعالى:

(وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الحسر:7.

وبهذا يكون الله رحيمًا بالمسلمين ولا يحملهم ما لا طاقة لهم به من التكاليف، وامعانًا في التأكيد على هذا المعنى يقول رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم:(دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)[3]، وهذا عبد الله بن رواحة، يحاور رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، بعد أن اجتمع به في العقبة: (فقال عبد الله بن رواحة للنبي، صلى الله عليه وسلم، اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال النبي، صلى الله عليه وسلم،: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة. قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل

1- أبو الأعلى المودودي: نظام الحياة في الإسلام، ص: 58، دار الجهاد (القاهرة) 1969م.

2- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج1-ص28، دار ابن كثير اليمامة (بيروت) 1987م.

3- صحيح البخاري ج6-ص2658.

فنزلت «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة»[1]، ولنقف مع الأنصار وهم يبيعون حاضرًا ويشترون غائبًا ولكنهم، مع ذلك، فهم مطمئنون لصفقتهم التي عقدوها دون أن توسوس لهم نفوسهم بشئ من الشك والريبة، وهذا هو الإيمان الحق الذي لا تشوبه شائبة، والتجارة الرابحة بغير شك ولا ريبة، يقول تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة:111.

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) البقرة:207.

تمثل الآيتان (التوب: 111، والجمعة:11) قمة إيمانية، عالية وسامقة، تمثلت في طائفة الأنصار الذين وفوا لرسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، بما عاهدوه عليه، وليست من شك في أن الله، تعالى، سيفي لهم بما وعدهم به من نعيم في يوم البعث فيدركون، ساعتها، عظمة الربح الذي حصلوا عليه من صفقتهم التجارية الرابحة، بكل المقاييس، في مقابل ما قدموه وبذلوه في هذه الحياة الفانية، يقول تعالى:

(رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) النور:37.

أما إذا صرفنا أنظارنا تلقاء أهل النار فسنجد طائفة أو مجموعة أخرى غير طائفة الأنصار، وهم الكفار والمشركون الذين تكالبوا على حب الدنيا وشغلتهم أموالهم وبنوهم في الدنيا عن التفكير في التجارة الأخروية، ويحدث القرآن عن سمات وصفات أولئك القوم فيقول تعالى:

(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) الجمعة:11.

1- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: تفسير القرطبي ج8-ص267، دار الشعب (القاهرة).

تشير العديد من الروايات التي وردت في كتب السير أن رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، قد مارس مهنتين، فقط، طوال حياته، وهما رعي الأغنام صغيرًا يافعًا في بادية بني سعد، في مقابل بعض القراريط، أما المهنة الثانية فهي التجارة التي عمل بها في شبابه، حيث تاجر بمال السيدة خديجة بنت خويلد، يقول ابن إسحاق: كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، ...، فلما بلغها عن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول اللَّه، صلى الله عليه وسلم، منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام. ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه من خلال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، وجدت ضالتها المنشودة، ...، فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منية، وهذه ذهبت إليه، ...، تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضي بذلك[1]. وهنا تتجلى شخصية رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، التي ظلت على ما هي عليه من تمسك بالمبادئ والقيم الفاضلة دون أن تتغير، سواء أكان ذلك قبل الرسالة أو بعدها، فجاءت أفعاله مطابقة لأقواله فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: (عن أبي سعيد الخدري عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء)[2].

1- الموسوعة الإسلامية المعاصرة، اصدار 2004.

2- آبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى: المستدرك على الصحيحين ج2-ص7، دار الكتب العلمية (بيروت) 1996م.

المبحث الثاني: مجتمع الفضيلة

هناك اختلاف بيّن وواضح بين مجتمع يثرب، قبل الهجرة النبوية الشريفة، ومجتمع المدينة، عقب هجرته، صلى الله عليه وسلم، إليها، ثم إن هذا الرسول القائد الأعظم، صلى الله عليه وسلم، كان قد تمتع بصفات وسمات لم تتوفر لسواه، من قبل ولا من بعد، وتميز بخلق تكاملت فيه الفضائل جميعها مما جعله محط أنظار تهوي إليه أفئدة الجميع، وتتفانى في ارضائه النفوس، فما يتكلم بكلمة إلا ويبادر صحابته رضي اللَّه عنهم إلى امتثالها، وما يأتي بإرشاد أو توجيه إلا ويتسابقون إلى التحلي به، بمثل هذا السلوك النموذجي استطاع، صلى الله عليه وسلم، أن يقيم في المدينة المنورة أسما وأرفع مجتمع عرفته الإنسانية، بعد أن عمل على حلحلة كل المشكلات التي كانت قد استشرت وانتشرت في مجتمع يثرب، من قبل، وقبل أن تغدو المدينة المنورة التي نشأت وتكونت في احضانها كل القيم والمثل الإسلامية النبيلة التي تدعو الإنسان إلى السمو الروحي تمثلاً وتشبهًا برسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، ذلك النموذج الإنساني الذي عمل على الارتقاء بالنفوس والأرواح فصنع منها ملائكة يمشون على الأرض، حتى غدا العديد من صحابته أنوارًا ونجومًا زاهرة، يهتدي بهديها كل من أحب الهدى وكره الضلال، فكانت أقوله وأفعاله ماءً صادف قلوبًا ظمأى ونفوسًا عطشى، فتلقفته بشوق ولهفة، لتصنع منه حبًا ونباتا وزرعًا ينتفع به من تهوى أفئدتهم إلى حب الخير، قال تعالى:

(ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الفتح:29.

بمثل هذه الدرر النفيسة والأحاديث الشريفة، التي وردت في كتب السيرة وكتب الحديث الصحاح، ربى النبي الكريم، صلى الله عليه وسلم، أصحابه الكرام البررة على التوادد والترابط الاجتماعي والتكافل الاقتصادي في ما بينهم فكانوا نعم من حمل أمانة الكلمة، فسطروا أسماءهم بمداد من نور وأحرف من ذهب في سجل التاريخ الإنساني الخالد والباقي ما بقيت في الدهر بقية في هذا الوجود.

والكاتب، هنا، يسعى، جاهدًا، إلى تدعيم بحثه ببضع نماذج من الدرر التي نثرها رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، ليعلي من الروح المعنوية لدى الصحابة وليرتفع في قلوبهم

الإيمان فتطمئن نفوسهم إلى ما ينتظرهم من ثواب ونعيم لا ينفد، فشكلوا، بحق، نموذجًا فريدًا من البشر، عندما حملوا على عاتقهم مشاعل النور ونشروا المعاني السامية والقيم الرفيعة التي جاءت بها رسالة الإسلام التي حثت المجتمع المسلم على التمسك بجميل الصفات وكريم الأخلاق، (عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، أن رجلا سأل النبي، صلى الله عليه وسلم،: أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[1]، يرشدنا هذا الحديث إلى أهمية تقديم الطعام إلى المحتاجين، باعتبار أن هذا العمل هو من الفضائل في الإسلام، كما يلفت الحديث الانتباه إلى أهمية وقيمة العمل كوسيلة لكسب الرزق، مما يعني أن على المسلم مضاعفة الجهد حتى يتمكن من توفير الطعام له ولمن تلزمه نفقته، كما أن عليه أن يتصدق من جهده وعرقه حتى يدخل في زمرة من وصفهم القرآن بقوله تعالى:

(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) الإنسان: 8-10.

(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الحشر:9.

ولا يزال رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، في أول خطبه عند مقدمه إلى المدينة، يكرر دعوته لأصحابه ويحثهم على فصيلة بذل الطعام وتقديمه لكل ذي حاجة، وهذا هو زرارة يروي للتاريخ ما رأته عيناه وما سمعته أذناه: (عن زرارة بن أوفى، حدثني عبد الله بن سلام، قال: لما قدم النبي، صلى الله عليه وسلم، المدينة انجفل الناس قبله، وقيل قد قدم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد قدم رسول الله قد قدم رسول الله ثلاثا، فجئت في الناس لأنظر فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)[2]، والحديث، بجانب ذلك، يحث على فضل الحرص على صلة الرحم في المجتمع المسلم ليغدو كالجسد الواحد فيقول: (قال رسول الله، صلى

1- صحيح البخاري ج1-ص13.

2- سنن ابن ماجه ج2-ص1083.

الله عليه وسلم، مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1]، كما روي عنه في حديث آخر: (عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، جالسا إذ جاء رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء)[2]، والأحاديث عن اطعام الطعام وفضله وكثرة ثوابه، في يوم البعث والنشور، وهو يوم عصيب، لا تنقضي ولا تنتهي: (عن أبي سعيد عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم)[3].

ويتجاوز التوجيه والارشاد النبوي، في أحاديثه، حد التماسك الاجتماعي، إلى أمر يعتبر في غاية الأهمية، ألا وهو توفير الأمان بين الناس حتى يعيش كل أفراد المجتمع المسلم في أمن وأمان: (عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)[4]، إذ لا يريد الإسلام أن يشيع في الناس الخوف، بل لابد من بث الطمأنينة في النفوس، وقد من الله تعالى على أهل مكة بنعمتي توفير الاطعام، وتوفير الأمن، قال تعالى:

(الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قريش:4.

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آَمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ) العنكبوت: 67.

لقد وضع رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، من خلال أقواله وأفعاله، الأسس الراسخة لبناء مجتمع إنساني يتسم بفضيلة الأخلاق الحميدة التي تضمن له العيش دون تعب ولا نصب، فقد جاء في سنن الترمذي (قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)[5].

1- صحيح مسلم ج4-ص1999.
2- صحيح البخاري ج5-ص2242.
3- سنن أبي داود ج2-ص130.
4- صحيح مسلم ج1-ص68.
5- سنن الترمذي ج4-ص573.

لا شك في أن الحديث عن أحاديث رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، وسيرته العطرة، يشتمل فوائد جمة وكثيرة، ولذلك سنورد، هنا، بعضًا منها لتعم الفائدة وليكتمل النموذج الرسالي:

– (عن النبي،: صلى الله عليه وسلم، قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)[1].

– (ثبت في الصحيح عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[2].

– (قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام)[3].

– (عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله: صلى الله عليه وسلم، قال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[4].

– (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله)[5].

– (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)[6].

1- صحيح البخاري ج1-ص13.
2- أضواء البيان ج3-ص42.
3- تفسير ابن كثير ج4-ص214.
4- صحيح مسلم ج4-ص1996.
5- سنن الترمذي ج4-ص323.
6- صحيح مسلم ج1-ص63.

– (قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة)[1].

– (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[2].

لعل ما ذكر، هنا، من أحاديث لا يعدو أن يكون قطرة من محيط بلا ساحل، وقيضًا من فيض كثير، مما ازدحمت به كتب السير وروته كتب الحديث، وهي تحث المجتمع المسلم على التكاتف والتراحم والتكافل، فقد أورد ابن خزيمة في صحيحه: (قال أبو الدرداء سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: ما من ثلاثة نفر في قرية ولا بدو فلا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية وقال المسروقي: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال: إن الذئب يأخذ القاصية)[3]، وفي هذا الحديث، وغيره من الأحاديث، نجد أن الإسلام قد حرص، أشد الحرص، على الجماعة وعلى الإكثار من الإنفاق في سبيل الله تعالى، ففتح، للمسلمين، الكثير من أبواب الخير والبر، ومما يروى في هذا الباب أن عمر بن الخطاب قال لصهيب: ما وجدت عليك في الإسلام إلا ثلاثة أشياء، اكتنيت أبا يحيى وقال الله عز وجل «لم نجعل له من قبل سميا»، قال: أنه قال: وإنك لا تمسك شيئا إلا أنفقته، قال: إنه قال: وإنك تدعى إلى النمر بن قاسط وأنت من المهاجرين ممن أنعم الله عليه. فقال صهيب: أما القول أني تكنيت أبا يحيى فإن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كناني أبا يحيى، وأما القول أني لا أمسك شيئا إلا أنفقته فإن الله تعالى يقول: **(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)** سبأ: 39، وأما القول أني أدعى إلى النمر بن قاسط فإن العرب تسبي بعضها بعضا فسباني طائفة من العرب بعد أن عرفت أهلي ومولدي فباعوني بسواد الكوفة فأخذت لسانهم ولو كنت من روثة ما انتسبت إلا إليها.

1- صحيح البخاري ج6-ص2729.

2- صحيح مسلم ج4-ص1986.

3- صحيح ابن خزيمة ج2-ص371.

قال: صدقت)[1]، وكذلك تحثنا آيات القرآن العظيم على البذل والعطاء، انفاقًا في سبيل الله وانتظارًا للأجر والثواب منه، يقول تعالى:

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) البقرة: 245.

1- المستدرك على الصحيحين ج3-ص450.

المبحث الثالث: منهجه صلى الله عليه وسلم الاقتصادي

هل كان رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، فقيرًا كما يدعون؟ والإجابة، عندي، هي: كلا وألف ألف كلا، لم يكن فقيرًا، وكثيرًا ما تعوذ منه، ويمكن القول بأنه كان متوسط الحال وربما مالت حالته المعيشية إلى الكفاف أحيانًا، وربما ارتفعت في أحايين أخرى، فهو بين هذا وذاك، فقد عاش يتيمًا، ولكن اليتم لا يعني الحرمان أي أنه لم يعش محرومًا من شئ، أما في شبابه فقد تزوج من سيدة ثرية ومترفة، وعمل بالتجارة.

والسؤال: لماذا كان ينسب رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، إلى الفقر في كتب السيرة؟

والإجابة، عندي، هي أن أولئك الرواة قد قارنوا بين معيشته وبين ترف أكاسرة الفرس وأباطرة الروم، فقد جاء في حديث عمر بن الخطاب، الوارد في البخاري: (وإنه لعلي حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قرظا مصبوبا وعند رأسه أهب معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت، فقال: ما يبكيك: فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله، فقال: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة)[1]، كذلك ربما قارنوا أسلوب حياته بحياة الترف بعد تدفق أموال الفتوحات وبأيام دولة بني أمية وبني العباس، فرأوا أنه كان فقيرًا ونسوا أن رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، قد باع الدنيا واشترى الآخرة بأمواله وأعماله، فالله قد سمى المال خيرًا، قال تعالى:

(إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) البقرة: 180.

(وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ) نوح: 11.

ومن الملاحظ في الآية أن المال قد قدم على البنين في أكثر من موضع، ففي موضع آخر، يقول تعالى:

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) الكهف: 46.

1- صحيح البخاري ج4-ص1867.

في هذه الآية الكريمة (الكهف:46)، دلالة على أن للمال قيمة وأهمية كبرى في تحريك الأنشطة الاقتصادية والتجارية في جميع المجتمعات البشرية، ولكن يجب ألا يمثل المال هدفًا وغاية، وألا يكون وسيلة لتلبية شهوات النفس، وإنما يجب أن يتخذ من المال وسيلة لغاية أسما وأرفع من متع النفس وشهواتها وملذاتها الشيطانية، ولذلك قال تعالى:

(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا).

وفي صحيح ابن حبان: (قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم،: يا عمرو نعم المال الصالح مع الرجل الصالح)[1]، وفي صحيح البخاري: (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض).

والخلاصة هي أنه، صلى الله عليه وسلم، لم يكن فقيرًا، كما صورته كتب السير، ولكنه كان يدعو إلى كثرة الإنفاق والبذل والعطاء، حبًا لما عند الله تعالى وتعلقًا بنعيم الآخرة، ولعل هذا هو ما جعل حياته كفافًا يكتفي بأقل القليل لنفسه ويؤثر غيره بالمال ويؤلف به قلوب قوم آخرين. فقدم بذلك خير نموذج إنساني وضرب أروع الأمثال الحية والحقيقية.

هناك العديد من الجوانب، الإنسانية والدينية والتربوية ...، التي يمكن للمتأمل والمتفكر في شخصية رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، أن يتمثلها ويحذو حذوه فيها، فقد شكلت حياته، نموذجًا مثاليًا وبسيطًا، في ذات الآن، إذ يمكن للمتتبع لسيرته العطرة أن يشهد، مدى الانسجام والتطابق بين الأقوال والأفعال في جميع حركاته وسكناته، الأمر الذي انعكس في منهجه وسلوكه وأسلوبه في التعامل مع من حلوله من صحابته، الكرام، الذين أحبوه وتأسوا به، قال تعالى:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب:21.

فهو المعين الذي لا ينضب مورده، والمنهاج الذي لا يضل سالكه، إنه القبس الذي يستضاء بنوره ويهتدى بهديه، والحديث عن سماته وصفاته طويل ومتشعب، ولا نريد أن

1- صحيح ابن حبان ج8-ص6.

يبعد بنا الحديث عن القصد والهدف المرسوم لهذه الدراسة، وهو تسليط الضوء على الشخصية الاقتصادية لرسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، فقد كان نبراسًا ونموذجًا لا ند له ولا نظير، في العدل والسماحة والتواضع ...، رجل لا يشركه رجل آخر في صفاته ومقدماته. ولا يدانيه رجل آخر في مناقبه الفضلى التي هيأته لتلك الرسالة الروحية المأمولة في المدينة، وفي الجزيرة وفي العالم بأسره[1]. قال تعالى:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) النجم3-4.

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم:4.

لقد عمل رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، على تربية أصحابه تربية روحية وإنسانية كريمة ترتقي بنفوس المؤمنين وأرواحهم فوق مستوى الماديات، وإن عظمت، ولنتأمل هذه الأحاديث الواردة في كتاب النفقات، في صحيح الإمام البخاري، حيث يقول رسولنا الكريم، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم:

(عن النبي ، صلى الله عليه وسلم، إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة)[2].

فالحديث يدعو المسلم إلى الإنفاق على أهله، وهو واجب عليه، ولكن تلك النفقة تحسب له صدقة ويؤجر عيها، ويرتقي الدين الإسلامي بالمسلم، حين يحثه على السعي على الأرملة والمسكين، أي أصحاب الحاجات من الضعفاء ممن لا يجدون سعة في أرزاقهم، فيقول رسولنا الكريم، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم:

(قال النبي صلى الله عليه وسلم، الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)[3].

وتتجلى الشخصية الاقتصادية لرسولنا الكريم، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، حين نقرأ حديث الصحابي الجليل، سعد، رضي الله عنه، الذي يرويه البخاري في صحيحه فيقول:

1- عباس العقاد: عبقرية محمد، ص: 34، وزارة الثقافة والتراث (قطر)، 2013م

2- صحيح البخاري، ج3، ص: 189.

3- نفس المصدر.

(كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يعودني وأنا مريض بمكة، قلت: لي مال أوصي بمالي كله، قال: لا، قلت فالشطر، قال: لا، قلت فالثلث، قال: الثلث، والثلث كثير، أن تدع ورثتك أغنياء خيرًا من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم، ومهما أنفقت فهو لك صدقة، حتى اللقمة ترفعها في في امرأتك، ولعل الله يرفعك ينتفع بك الناس ويُضَر بك آخرون)[1].

والأحاديث، التي تحث المسلم على البذل والعطاء في سبيل الله، كثيرة جدًا، وهي بمثابة ترغيب للناس جني الأرباح في الحياة الدنيا، يقول تعالى:

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ * يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) الحديد:11- 12.

1- المصدر السابق، ص: 189.

المبحث الرابع: الحج والمنافع الاقتصادية

لسنا هنا في مقام الحديث عن الركن الخامس في الإسلام في صورته الروحية والتعبدية، وعدم تطرقنا لهذا الجانب يتأتى من أن هذه الدراسة تريد أن تسلط الضوء على الجانب الاقتصادي في حياة رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم. قال تعالى:

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) الحج: 27-28.

جاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى (**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**): قال ابن عباس:(**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**)، قال: منافع الدنيا والآخرة، أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى، وأما منافع الدنيا، فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات، ... أنها منافع الدنيا والآخرة كقوله (**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**) البقرة: [1]198.

وكذلك جاء في تفسير السعدي (**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**)، أي لينالوا ببيت الله منافع دينية من العبادات الفاضلة والعبادات التي لا تكون إلا فيه ومنافع دنيوية من التكسب وحصول الأرباح الدنيوية[2].

وأيضا في تفسير الإمام الطبري، وأولى الأقوال بالصواب قول من قال عني بذلك (**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**)، من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عم لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة[3].

وفي أحكام القرآن للجصاص: قال الله عقيب ذكر الحج والتزود له، (**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**) البقرة: [4]198، يعني المخاطبين بأول الآية وهم المأمورون بالتزود للحج وأباح لهم التجارة فيه، وروى أبو يوسف ...، قال: قلت لابن عمر إني رجل أكري الإبل

1- تفسير ابن كثير ج3-ص217.

2- تفسير السعدي ج1-ص537.

3- تفسير الطبري ج17-ص147.

4- تفسير ابن كثير ج3-ص217.

إلى مكة أفيجزي من حجتي؟ قال: ألست تلبي فتقف وترمي الجمار؟ قلت: بلى، قال: سأل رجل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن مثل ما سألتني فلم يجبه حتى أنزل الله هذه الآية، **(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ)**، فقال صلى الله عليه وسلم: أنتم حاج. ...، قال ابن عباس: كانت ذو المجاز وعكاظ متجرا للناس في الجاهلية فلما كان الإسلام تركوا حتى نزلت **(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ)** في مواسم الحج[1].

لا شك أن الحج يمثل واحدًا من أعظم وأكبر التجمعات البشرية في هذا الوجود، ومن المعلوم عن الحركة الاقتصادية أنها تنمو وتزدهر بالبيع والشراء والتبادل التجاري، وهذا العمل لا يتم إلا في ظل وجود الكثافة البشرية، وبذلك تتطور القرى الصغيرة وتظهر مكانها المدن العمرانية، وكانت مكة المكرمة تعرف باسم أم القرى ؛ يقول تعالى:

(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) الأنعام: 92.

وليست هناك من منقصة تصيب الحجيج، وغيرهم، ولا يعيبهم في شئ أن يضيفوا لفوائد الحج الروحانية فوائد دنيوية أخرى في نفس الوقت، ليستفيدوا من هذه الكثافة البشرية في استثمار الأموال والكسب الحلال، قال تعالى:

(وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) البقرة: 275.

وإذا نظرنا إلى الحج كشعيرة تعبدية، نجد أنها لا تستغرق وقتًا طويلاً فهي عبارة عن أيام معدودة، أي محددة وقليلة، قال تعالى:

(وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) البقرة: 203.

(وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ) الحج: 28.

أما حينما يكون الحديث عن الفترة الزمنية للحج، فالأمر يختلف، إذ تتحول تلكم الأيام المعدودة والمعلومة إلى أشهر معلومات، قال تعالى:

1- أحكام القرآن للجصاص ج1-ص386.

(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ) البقرة: 197.

إن الفترة الزمنية الطويلة للحج، والتي تمتد من شهر شوال حتى الانتهاء من أداء فريضة الحج وشعائره في العاشر من شهر ذي الحجة، تعتبر فترة ليست بالقصيرة، ولا شك في أن طول هذه المدة الزمنية للحج يسترعي الانتباه ويلفت النظر إلى الجانب الذي هو على قدر عال من الأهمية، وهو الجانب الاقتصادي في هذه الشعيرة الدينية والروحية، فكلما امتدت المساحة الزمنية، للحجيج، في موسم الحج، ازدادت الفوائد الاقتصادية للحاج ولغير الحاج، أيضًا، فكلاهما تعود عليه الفوائد المعنوية والحسية المادية من خلال التبادل التجاري واكتساب المعلومات والخبرات التجارية ..، وتتجلى عظمة الاقتصاد ومكانته في الإسلام في اختيار يوسف، عليه السلام، أن يكون مسئولاً عن موارد الدولة المالية، أي بمثابة وزير مالية في عصرنا هذا، وذلك بعد أن انقضت محنته وخرج من السجن، قال تعالى:

(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) يوسف: 54-55.

كذلك طلب سيدنا سليمان، عليه السلام، ملكًا لا ينبغي أن يكون لأحد من بعده، والملك والسلطان لا يقومان بغير المال والقوة الاقتصادية، قال تعالى:

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) القصص: 35.

المبحث الخامس: حديث الذبابة

(قال النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء) [1]، يمكننا الاستفادة من هذا الحديث النبوي الشريف، الذي يحوي في طياته، مفهومًا اقتصاديًا يرشدنا إلى كيفية التعامل مع غذائنا، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فالحديث يدعو إلى الحفاظ على الطعام نسبة لما له من قيمة لا تقدر بمال، ولما بذل من أجل الحصول عليه من مجهود، فنحن إن رجعنا بالزمن إلى عهد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، لوجدنا أن أغلب ما توفر، من طعام، لدى كثير من الناس هو اللبن، إذًا لابد من النظر إلى نص الحديث بعين رجل يعيش في الصحراء، ولا يملك الكثير من أنواع الطعام، وليست لديه بديل عن الحليب الذي سقط عليه الذباب ولنضع أنفسنا مكانه، فهل سنقوم بسكب اللبن الذي وقع فيه الذباب على الأرض لنبقى من غير طعام ؟ أم أننا سنقوم بتناوله لنعيش بعد ذلك في صراع نفسي حاد؟ والذي ستكون نتيجته الحتمية هي المرض الذي سينشأ عن الصراع النفسي المتوهم. أمران أحلاهما مر، أما بعد الاستماع للحديث فلن يجد الشخص في نفسه حرجاً وسيتناول طعامه وهو في غاية الطمأنينة والاطمئنان على صحته واقتصاده، فالمتأمل لوجهة نظر الحديث يجد أنها قد حلت المشكلة حلاً جزريًا، بل وأضافت جانبًا اقتصاديًا، ليتمكن المجتمع من المحفظة على موارده الاقتصادية من التلف والضياع، والحديث لم يفرض علينا أن نقوم بغمس الذبابة في الإناء أو الشراب، وإنما بين لنا الجانب الصحي لنستفيد من ذلك في الجانب الاقتصادي عند وقوع الذباب في طعامنا وشرابنا، فمن شاء تناول الطعام أو الشراب الذي وقع فيه الذباب، ومن لم يشأ وعافه تركه لمن أراد تناوله؛ ولكن علينا أن نتنبه إلى أمر مهم وهو الجانب الاقتصادي فلا نقوم بالتخلص من الطعام ورميه مع الأوساخ فإن في ذلك خطأ فادح.

1- صحيح البخاري ج3:ص1206.

المبحث السادس: أهل الصفة

تمثل حياة أَهْلُ الصَّفَّة نموذجًا رائعًا للتكافل الإسلامي، فأهل الصفة هم أولئك النفر، من المجتمع، الذين مستهم يد الفقر فعاشوا عيشة الكفاف وهم لا يملكون من حطام الدنيا شيئًا إلا ما يجود به المحسنون من أهل الخير متصدقين عليهم، وكانوا يأوون إلى جانب يقع في مؤخرة مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يتخذونه مأوىً لهم، وقد عرفوا، بين المسلمين، باسم أهل الصفة وأحيانًا يطلق عليهم أهل الظلة نسبة للعريشة التي كانت تأويهم[1]، وعلى الرغم من فقرهم وشدة حاجتهم إلا أنهم قد تربوا في كنف رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم أكرم تربية، وقد روي في الصحيح: (عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء)[2]، ولذلك لا تجدهم يمدون أيديهم لسؤال الناس، وإنما اتصفوا بالعفة والصبر على ما هم فيه من فقر وعوز، قال تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ البقرة : 273.

ومن بين أولئك النفر من أهل الصفة صحابة كرام أجلاء، نذكر منهم: أبو ذر الغفاري، وبلال بن رباح، وسلمان الفارسي، وصُهيب الرومي، وغيرهم، ويكفي أن ينتمي لهذه الفئة من المسلمين الصحابي الجليل، أبو هريرة، رضي الله عنه، فقد كان واحدًا من أهل الصفة، لنستمع إليه، وهو يقول: شر الطعام طعام الوليمة يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء ومن ترك الدعوة فقد عصى الله تعالى ورسوله، صلى الله عليه وسلم[3]، وكذلك قال، كنت من أهل الصفة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان ليُغشى عليّ فيما بين بيت عائشة وأم سلمة من الجوع. وقال، أيضًا: رأيت ثلاثين رجلاً من أهل الصفة يصلّون خلف رسول الله ليس عليهم أردية، وروي، أيضًا، عن أبي هريرة قوله: خرج رسول الله ليلة فقال: ادعُ لي أصحابي، يعني أهل الصفة، فجعلت أنبّهم رجلاً رجلاً فأوقظهم حتى جمعتهم فجئنا

1- الموسوعة العربية العالمية، اصدار 2004م.

2- صحيح البخاري ج3-ص1184.

3- صحيح البخاري ج5-ص1985.

باب رسول الله فاستأذنَّا فأذن لنا فوضع لنا صحفة فيها صنيع من شعير ووضع عليها يده وقال: خذوا باسم الله، فأكلنا منها ما شئنا، قال: ثم رفعنا أيدينا، وقد قال رسول الله، حين وُضعت الصحفة، والذي نفس محمد بيده ما أمسى في آل محمد طعام ليس ترونه. فقلنا لأبي هريرة: قَدْرَ كم هي حين فرغتم؟ قال: مثلها حين وضعت إلاّ أن فيها أثر الأصابع. لقد وجد أهل الصفة الكثير من العناية والرعاية من قبل رسلنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، عطفًا منه وشفقة عليهم، لشدة فقرهم، ويمثل هذا العمل تربية عملية لصحابة رسول الله تأسيًا به، قال ابن سعد: كان رسول الله يدعوهم إليه بالليل إذا تعشّى، يعني إذا أراد أن يتعشّى، فيفرقهم على أصحابه وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله حتى جاء الله تعالى بالغِنى. وكان إذا أتى بشيء قال: أصدقة أم هديّة؟ فإن قالوا صدقة صرفها إلى أهل الصفة وإن قالوا هدية أمر بها فوضعت ثم دعا أهل الصفة إليها، وانظر إلى تلكم الرحمة المحمدية وهو يؤثر أولئك الضعفاء على آل بيته، إذ يروى أنه جاءه سَبْيٌ، أسرى الحرب، فدخلت عليه فاطمة بنته وعليٌّ زوجها، رضي الله عنهما، يشكوان تعبهما من الخدمة ويسألانه خادمًا، فبماذا أجابهم؟ قال: والله لا أعطيكما وأدعُ أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم[1]. ولا يظن أحد أن الإسلام يدعو إلى الكسل وعدم العمل، بل الإسلام يأبى على المسلم أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه فقد ورد في صحيح البخاري: (عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)[2]، كما جاء في سنن الترمذي: (ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر)[3].

يتمثل الأثر الاقتصادي لهذه المجموعة، من فقراء المسلمين، في أنهم كانوا يقومون ببعض الأعمال التي لم يتفرغ لها كثير من الصحابة الكرام، كخدمة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وتعهد المسجد بالنظافة المستمرة، كما أنهم اهتموا كثيرًا بحفظ ورواية الحديث،

1- الموسوعة العربية العالمية، اصدار 2004م.

2- صحيح البخاري ج2-ص535.

3- سنن الترمذي ج4-ص562.

والذي شكل ثروة فقهية وعلمية ومعرفية قامت على أكتافها الحضارة الإسلامية، ولا زالت تغرف من معينها الذي لم ولن ينضب إلى اليوم، وإلى آخر الزمان إن شاء الله تعالى.

المبحث السابع: الأثر الاقتصادي والاجتماعي للزكاة

تمثل الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام، ودومًا ما تقرن بالصلاة في كثير من آي القرآن العظيم، فقد جاء ذكرها مقرونة بالصلاة في اثنين وثمانين موضعًا في القرآن العظيم[1]، ولعل ذلك يعود لما لهذه الشعيرة الإسلامية من مكانة اقتصادية واجتماعية عظيمة يقول تعالى:

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) البقرة: 43.

وفي الحديث الصحيح: (عن أبي أيوب رضي الله عنه، أن رجلا قال للنبي: صلى الله عليه وسلم،: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: ماله ماله، وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: أرب ماله، تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم)[2].

وقد فرضت الزكاة في السنة الثانية للهجرة النبوية، وتعرف الزكاة الشرعية في القرآن والسنة بالصدقة، قال الماوردي في الأحكام السلطانية: «الصدقة زكاة، والزكاة صدقة، يفترق الاسم ويتفق المسمى»[3].

ويعرفها الفقهاء لغة بأنها الطهارة والنماء والبركة، والهدف من الزكاة هو تطهير المال وخلق صلة ود ومحبة بين الأثرياء والأغنياء، يقول تعالى:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) التوبة: 103.

وقال الرسول، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، لرجل ... يسأل كيف ينفق؟ « تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك،وتصل رحمك، وتعرف حق المسكين والجار والسائل[4]»، والزكاة مأخوذة من التزكية أي التطهير فكأن الخارج من الأموال يطهره من تبعة الحق الذي

1- حسن أيوب: فقه العبادات، ص: 112، (بيروت)، 1986م

2- صحيح البخاري ج2:ص505.

3- الموسوعة العربية العالمية، اصدار 2004م.

4- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء: تفسير القرآن العظيم، ج3، ص: 52.

جعله الله فيه للمساكين[1]. وأيضًا جاء في الحديث الشريف: (ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله)[2].

ويشترط في الزكاة:

-1 أن يبلغ المال النصاب الذي تجب فيه الزكاة.

-2 حولان الحول (مرور عام) على المال المزكى.

-3 أن يكون الغرض من المال النماء وليست سد الحاجة.

قال تعالى:

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ9 التوبة:58.

(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) التوبة:60.

وعندما بعث رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، الصحابي الجليل معاذ بن جبل إلى أهل اليمن أوصاه وصية تحمل في ثناياها الكثير من المعاني القيمة، التي تستوجب الوقوف عندها، طويلاً، والنظر في معانيها بتمعن وتدبر يقول الحديث: (عن بن عباس أن معاذا قال: بعثني، صلى الله عليه وسلم، قال: إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات، في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)[3]. تعبر هذه الوصية عن حس رفيع وشعور مرهف ومعرفة، شديدة العمق والتعمق، بأحوال الناس ونفوسهم، غير أن أكثر ما يستوجب الوقوف عنده والنظر إليه، في هذه الوصية، هو قوله، صلى الله عليه وسلم: (فإياك وكرائم أموالهم،

1- أحمد شلبي: السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي، ص: 226، دار النهضة المصرية، (مصر) 1979م.

2- تفسير ابن كثير ج1-ص407.

3- صحيح مسلم ج1-ص50.

واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)، إنها عبارة تدل على أن الزكاة ليست كالضرائب التي تدفع للحكام بغير رضىً من مخرجها، أما الزكاة فتخرج بكل رضىً وسماحة نفس، بل وبحب، ففي حين نجد أن الإسلام قد منع، جامع الزكاة، من الاقتراب من كرائم أموال المسلمين، حث المسلمين على أن تكون صدقاتهم، التي يتصدقون بها على الفقراء، من خير ما يملكون من المال الطيب، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) البقرة: 267.

وذلك لأن الله، تعالى، طيب ولا يقبل إلا طيبًا، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، وهنا تتفاوت درجات الإيمان، في قلوب الناس، فكلما كان الإيمان راسخًا في القلوب، ومتمكنًا في النفوس، أخلص العبد في العمل بنية خالصة، وبهذا يرجو العبد أن يكون عمله مقبولاً عند الله، يقول رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)[1]، وفي الآية الكريم يقول تعالى:

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) المائدة:27.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة (المائدة:27): فقربا قربانهما فجاء صاحب الغنم بكبش أعين أقرن أبيض وصاحب الحرث بصبرة من طعامه فقبل الله الكبش[2]. والصورة هنا واضحة الدلالة ولا تحتاج إلى شرح، فإن أراد الشخص أن يكون عمله طيبًا متقبلا عند الله، فما عليه إلا أن يتقنه ويخلص النية فيه، ليدخل في زمرة المؤمنين المخلصين المتقين، قال تعالى:

(إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) الحجر:40.

1- صحيح البخاري ج1-ص3.

2- تفسير ابن كثير ج2-ص43.

مما سبق من حديث يمكن القول، إن للزكاة العديد من الآثار التي تتجلى بوضوح في المجتمع المسلم، فهناك الآثار النفسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ...، ففي الزكاة، على سبيل المثال، علاج لكثير من العلل والأمراض المستشرية في المجتمعات، فهي تعمل على اذابة الفوارق الطبقية بين فئات المجتمع، وتحبب الفقراء في أصحاب الأموال من الأثرياء، فتطيب نفوسهم وتصفو قلوبهم، فلا يحقدوا عليهم ولا يتمنوا زوال نعمتهم[1]، كما أن الزكاة تزيد الغني قربًا وتقربًا إلى الله تعالى، وبهذا يتآلف المجتمع وتسود فيه قيم المحبة والتسامح والإخاء ..، كما أن الزكاة تقلل بشكل كبير من انتشار جرائم السرقة وجرائم القتل التي قد ترتكب بدافع السرقة، وغيرها من الجرائم التي ترتبط بالمال كالربا والبغاء والميسر والخمور ..

وللزكاة، أيضًا، آثارها الاقتصادية التي تنعكس على جميع أفراد المجتمع، فقراء وأغنياء:

-1 الزكاة لا تؤخذ إلا من المال الذي بلغ النصاب وحال عليه الحول، وفي هذا حث للمسلم على العمل حتى لا يتناقص ماله.

-2 الزكاة تمنع تكدس المال في يد فئة قليلة من الناس يقول تعالى:

(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ)الحشر: 7.

-3 الزكاة تجعل الغني ينظر إلى الفقير بعين الرحمة والشفقة، وليست بعين الاحتقار؛ مما ينعكس على المجتمع المسلم في صورة توادد وتراحم وتكافل.

-4 الزكاة تشعر الغني بما أفاءه الله عليه من نعم لا تحصى ولا تعد، يقول تعالى:

(وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) إبرلهيم: 34.

-5 يمثل اخراج الزكاة نوعًا من التزكية للمال وتطهير النفس الإنسانية من شهوات وملذات الدنيا الفانية.

-6 إخراج الزكاة يجعل المسلم يتعلق بثواب الآخرة، فلا يكنز المال، يقول تعالى:

1- محمد الخضري بك: تاريخ التشريع الإسلامي، ص: 36، دار الكتب العلمية، (بيروت) 1988م

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) التوبة: 34-35.

-7 الزكاة تفتح الكثير من أبواب العمل وبالتالي تتحرك الأموال وتزدهر التجارة وتزداد الأرباح؛ وبذلك تنفتح أمام العمال الكثير من أبواب الرزق الحلال.

-8 في الزكاة دعوة للتسامح بين فئات المجتمع فلا يحقد الفقير على الغني، ولا يزدري الأغنياء الفقراء لفقرهم، فتزول بذلك الفوارق وتنمحي الأحقاد.

-9 إن الناظر إلى قيمة الزكاة يجد أنها شئ يسير من المال ينفقه المسلم، وفي مقابله يفوز بالكثير من الحسنات، والله، تعالى، عليم وخبير بما تنطوي عليه صدور عباده ودواخلهم من مشاعر وأحاسيس نفسية تجاه أموالهم، قال تعالي:

(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) الملك: 14.

(إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ) محمد:37.

وبما أن الله، تعالى، عليم بذات الصدور، ويعلم خائنة الأعين؛ نجد أن فوائد الزكاة لم تتركز، فقط، في جانب الثواب المعنوي الموعود في الآخرة، وإنما جعل الله، تعالى، للزكاة جوانب أخرى محسوسة وملموسة، لتكون دافعًا وحافزًا للأثرياء على العمل، فالمال إذا ظل بلا حراك وبلا تنمية، فهو لا محالة سينقص، بل وسيتناقص على الدوام من خلال إخراج الزكاة منه سنويًا، وبالتالي تستمر ثروة الفرد في النقصان، أما إذا تم استثمار الأموال في المجالات التنموية والاقتصادية، فإن عجلة الاقتصاد ستدور وستتحسن الأوضاع الاقتصادية للجميع بصورة تعود بالفوائد الربحية الوفيرة على الأثرياء، كما سيصيب جانب من التحسن الاقتصادي أولئك الفقراء، وبذلك ينصلح حال الجميع بلا استثناء. إذًا فالزكاة تمثل قوة دفع لعجلة الاقتصاد باستمرار دون توقف، كما أنها تفتح العديد من أبواب الاستثمار، مما يجعل أصحاب الأموال في حاجة ماسة للأيدي العاملة، وهنا تنفتح فرص العمل أمام الكثير ممن لا يملكون المال ولكنهم يملكون المهارات اليدوية والخبرات الذهنية

وغيرها من القدرات والإمكانات التي تحتاج إلى من يستغلها ويوجهها إلى تنمية وتنشيط الحركة الاقتصادية في المجتمع المسلم، وقد استغل المشرع هذا الباب لينفذ من خلاله إلى الاستثمار، حيث استغل حب المال في النفس الإنسانية، وكذلك استفاد من غريزة الخوف على الأموال من النقصان ليحولها إلى وسيلة فعالة تحث الناس على العمل ومن ثم الكسب الحلال، وهذا بدوره سيدفع الناس إلى نوجيه الأموال نحو الكثير من الأنشطة الاقتصادية والانتاج لئلا تتناقص الأموال، مما سينعكس على الجانب الاقتصادي وبذلك تنتعش حركة الأسوق ويزداد الطلب على الأيدي العاملة في شتى المجالات: التجارة والصناعة والزراعة .. وغيرها من المشاريع الاقتصادية التي ستعود على المجتمع المسلم بالعديد من الفوائد، وبذلك تتحقق الأهداف الروحية (الأجر والثواب)، وكذلك المادية الملموسة من اخراج الزكاة (التكافل والتراحم ..)، وفي ذلك ازدهار لحركة الاقتصاد في المجتمع، وتنتفي، في ذات الآن، الشحناء والبغضاء وتسود المواساة والمؤاخاة بين الناس، وهذا هو ما صنعه رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، مجتمع المدينة المنورة، حيث تجلت أبهى صور المؤاخاة الإنسانية، فهذا سعد بن الربيع، من الأنصار، يقول لأخيه من المهاجرين، عبد الرحمن بن عوف: إني من أكثر الأنصار مالا وأنا مقاسمك، ولي امرأتان فأنا أطلق لك إحداهن فإذا انقضت عدتها فتزوجها. فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن دلني على السوق، فدله فلم يرجع يومئذ حتى أصاب شيئا من سمن وأقط قد ربحه، فمكث أياما ثم مر بالنبي، صلى الله عليه وسلم، فرأى وضر صفرة، فقال له، صلى الله عليه وسلم: مهيم، قال: تزوجت يا رسول الله، قال: من، قال: امرأة من الأنصار، قال: ما أصدقت؟ قال: نواة أو وزن نواة من ذهب قال: أولم ولو بشاة[1]. والعبرة التي يريد هذا الحديث أن نستفيدها تكمن في مدى جدية عبد الرحمن بن عوف وحبه للعمل الذي عاد عليه بالربح الوفير، مع أنه حديث عهد بالمجتمع، ولكنه في قت قصير تزوج وأصدق زوجته نواة من ذهب، وكل هذا حدث خلا أيام قلائل، فالحديث يدعو إلى العمل والعمل بصدق وأمانة وبجد واجتهاد حتى تعم الوفرة ويعيش الجميع في رخاء، فتنكسر حدة الشهوة إلى جمع المال واكتنازه، ومن ثم تتوجه قلوب العباد إلى العبادة والإخلاص لله الواحد الأحد، وهذا هو ما هدف إليه رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، وحققه في مجتمع المدينة، فمما يروى في هذا الصدد، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، خاطب

1- مسند أبي يعلى ج6-ص447

الأنصار قائلاً: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم، وقسمت لكم من الغنيمة كما قسمت لهم، وإن شئتم كان لهم الغنيمة ولكم دياركم وأموالكم. وهنا تسمو الأرواح وتعلو النفوس الطاهرة فوق حطام الدنيا، فتزداد رفعة على ما لها من مقام سام، فما كان جواب الأنصار إلا أن قالوا: لا، بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ولا نشاركهم في الغنيمة[1]. فأي سماحة هذه وأي إيثار هذا!!؟، إنهم كما وصفهم القرآن العظيم، قال تعالى:

(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ9.

1- محمد رضا: محمد، ص: 150، دار الكتب العلمية، (بيروت) 1975م.

الفصل الثالث:

أثر مناهج التعليم في ترسيخ مفهوم الاقتصاد الاسلامي

المبحث الأول: التعليم

المبحث الثاني : فلسفة التعليم

المبحث الثالث: الاقتصاد

المبحث الرابع: خصائص وسمات

المبحث الخامس: الاقتصاد والسياسة

المبحث السادس: رأس المال الحقيقي

المبحث السابع: التقنية والاقتصاد

المبحث الثامن: الاستثمار وتقنيات التعليم

ـ تقديم:

من منطلق الأهمية التي يتمتع بها كل من التعليم والاقتصاد، وما يتميزان به من قوة تأثيرية هائلة في تشكيل السلوك الاجتماعي والفردي، عمل الكاتب في هذا الفصل (الفصل الثالث) من الدراسة على تناول، أثر مناهج التعليم في ترسيخ مفهوم الاقتصاد الاسلامي، لاسيما وأن النظم التعليمية تمثل الأساس الذي تنمو في إطاره العديد من السمات الشخصية للمتعلمين، وتتحدد قيمة كل نظام تعليمي على مدى تمكنه من تنفيذ الأهداف المرسومة له، ويعد التعليم من أهم المقومات في المجتمعات، فمن خلاله يتم تشكيل سلوك الفرد وشخصيته الاجتماعية[1]، بل أسهم التعليم، في الكثير من الأحيان، في تغيير العالم بكامله؛ من خلال اكتشافات العلم والعلماء الذين تمكنوا من تقديم خدمات إنسانية لا تكاد تحصى، وفي شتى المجالات، والتي من بينها التعليم والصحة والنقل ولاتصالات والزراعة والفنون والآداب والاقتصاد..، وغير ذلك كثير مما أفادكثيرًا في تقدم البشرية وازدهار الحضارة الإنسانية[2].

يتميز الاقتصادالإسلامي، على وجه الخصوص، بأنه اقتصاد واقعي وأخلاقي، معًا، في غاياته التي يرمي إلى تحقيقها، والأسلوب الذي يتخذه لذلك وتكفي الإشارة، هنا، إلى أن القرآن العظيم قد اهتم كثيرًا بحركة المال وجميع أنشطته الاقتصادية، كما ركز جل اهتمامه بالمعاملات السوقية والاقتصادية والتجارية التي تكثر وتنتشر في أوساط كل المجتمعات؛ يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ البقرة:282.

واهتم الإسلام بأموال اليتامى ودفعها إليهم بمجرد استئناس الرشد منهم، وهو مناط التكليف، قال تعالى:

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ النساء:6.

1- فيصل محمود ولطفي عبد القادر: السياسات التعليمية ودور التعليم الجامعي في تهيئة الإنسان لمواجهة مستجدات العصر، مجلة العلوم التربوية، ص: 45، العدد: الأول، ح2، كلية التربية البحرين، مارس 2001م.

2- أكرم عبد الوهاب: 100 عالم غيروا وجه العالم، ص:4، دار الطلائع (مصر) 2005م.

جاء في صحيح البخاري: (أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع النبي، صلى الله عليه وسلم، فلما انصرف تعرضوا له فتبسم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين رآهم ثم قال: أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء. قالوا: أجل يا رسول الله، قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم، فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)[1]، وتصديقًا لهذا الحديث، فقد حدث أن جاء، في عهد عمر بن الخطاب، أبو هريرة من البحرين، فسأله عمر عما جاء به من المال، فقال: فقال أبو هريرة: خمسمئة ألف درهم، فقال عمر: أتدري ما تقول: قال: نعم، مئة ألف خمس مرات. فقام عمر في الناس قائلاً: لقد جاءنا مال كثير، إن شئتم كلنا لكم كيلا، وإن شئتم عددنا لكم عدا. قال الوليد بن هشام: لقد رأيت الأعاجم يدونون الدواوين. فأمر عمر بذلك[2].

1-محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج4-ص1473، دار ابن كثير، (بيروت) 1987م.

2- عبد الكريم صادق بركات وعون محمد الكفراوي: الاقتصاد المالي الإسلامي، ص:110، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (مصر).

المبحث الأول: التعليم

يقول الإمام محمد عبده: أمر التربية هو كل شئ ...، وعليه يبنى كل شئ ...، وكل مفقود يفقد بفقد العلم، وكل موجود يوجد بوجود العلم ..، وكل اصلاح للشرق والشرقيين لابد أن يستند إلى الدين، حتى يكون سهل القبول، شديد الرسوخ، عميق الجذور في نفوس الناس ...، والناس، في التعليم، طبقات ثلاث: العامة ...، والساسة ...، والعلماء...، ويجب تحديد كل ما يلزم لكل واحدة من هذه الطبقات من تعليم، كمًا ونوعًا[1]، ويشمل التعليم، كل ما يتلقاه المتعلمون في المدارس النظامية، وهو يسمى بالتعليم المدرسي، أو التعليم النظامي، حيث يلتحق التلاميذ، في أغلب البلدان بشكل من أشكال التعليم النظامي، خلال السنوات الأولى من العمر، وفي التعليم النظامي يتولى المسئولون عن التربية في الدولة وضع المناهج التي ينبغي تدريسها، وعلى التلاميذ أن يدرسوا ما حدده المسؤولون بإشراف عدد من المدرسين، وعلى كل تلميذ أن ينتظم في الحضور إلى المدرسة وفي الوقت المحدد، كما عليه أن يبذل جهدًا لكي يحصل على درجات تنافسية تصل إلى50% أو تتجاوزها في الامتحانات، والتي يتحدد، على ضوئها، انتقال التلميذ من صف إلى صف، أو من مرحلة إلى أخرى[2]. ويقوم التعليم على ثلاثة أضلاع، تعد من الأهمية بمكان، وهي: المعلم، المنهج، التلميذ، فمهمة المعلم هي تقديم المناهج، المعدة من قبل مختصين في مجال التربية والتعليم، إلى التلاميذ بشكل يتوافق مع أذهانهم، كل حسب المقرر المحدد له، والمنهج أكثر شمولية من المقرر، فهو يحتوي على المقررات الدراسية وله أهداف تربوية محددة يسعى لتحقيقها، من خلال الخبرات والأنشطة المخططة والتي يوفرها خبراء التربية والتعليم؛ لمساعدة المعلمين في أداء مهمتهم التربوية[3]. كما أن التعليم هو مصطلح واسع وفضفاض، يشتمل على مجموعة من الأساليب والطرق التي تسهم في تعديل السلوك أو تغييره من خلال تلقي واكتساب المهارات المعرفية؛ مما يسهم في إحداث قدر عال وكبير في بناء المجتمعات الإنسانية. من هذا الباب نجد أن التعليم يحتاج من المجتمع إلى المتابعة بشكل مستمر ودون انقطاع، فهو (التعليم)

1- محمد عمارة: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ص:151، ج1، دار الشروق (القاهرة)، 2008م.

2- الموسوعة العربية العالمية، اصدار 2004م،

3- محمد الباتع محمد عبد العاطي: المزج بين التكنولوجيا والمنهج، ص: 16، المكتبة التربوية، (مصر) 2010م.

يحتاج إلى الاصلاح، أو التطوير، وربما التغيير الجذري، أي إعادة البناء من جديد، ويحمل كل مفهوم من المفاهيم السابقة معناه الخاص به[1]:

ـ مفهوم الاصلاح:

الاصلاح هو مفهوم يقصد منه التعديل الجزئي، في أي جانب من جوانب التعليم نحو: دمج بعض المراحل، حذف أو اضافة السنوات، اضافة أو تغيير المناهج ومقرراتها، تقسيم المسارات العلمية والأدبية، وغير ذلك مما تتطلبه العملية التربوية والتعليمية في المجتمع. ويرى الكثير من علماء التربية والتعليم، أن عملية الإصلاحات الجزئية هي أشبه ما تكون بالحجارة التي يتم وضعها في مجري نهر عظيم؛ بهدف احداث تغيير لمجرى النهر المتدفق، أي أنها بمثابة ترقيع للثوب لا أكثر ولا أقل.

ـ التطوير:

مفهوم التطوير هو شكل من أشكال التعديل للعملية التعليمية في المجتمع، ولكنه تعديل يختلف عن سابقه (الاصلاح)، لأنه يحدث قدرًا أشمل وأعمق من التغيير في مضمون العملية التعليمية، كالتغيير الذي يجري في الأهداف والاستراتيجية، فهو يتطلب إحداث الكثير من التغيير في محتوى المنهج، وكليات وأقسام التربية التي تعنى بإعداد وتدريب المعلمين وطرق التدريس، وعملية التقويم[2].

ـ إعادة البناء:

إن القصد من هذا المصطلح (إعادة البناء)، هو العمل على بناء مؤسسات تعليمية تختلف، اختلافًا جذريًا، عما كان سائدًا من قبل عملية إعادة البناء، أي أن اعادة البناء تمثل عملية إبدال وإحلال، ليحل النظام الجديد مكان القديم، بشكل أعمق وأشمل مما تتطلبه عمليات الاصلاح والتطوير السابقتين.

1- عمر هارون الخليفة، علم النفس في اليابان، مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد: الأول، ديسمبر2000م، ص:78.
2- الدماغ والادراك والذكاء والتعلم: محمد زياد حمدان، ص: 36، دار التربية الحديثة، عمان – الأردن 1986م.

عليه فإن العملية التعليمية تحتاج، من علماء وخبراء التربية، إلى أسس وضوابط أساسية، لابد من توفرها لكي تتحقق الأهداف القومية للتربية في الأمة. وبالإمكان أن نجمل الحديث عن تلك الأسس والضوابط في ما يلي من نقاط:

1. غايات التعليم: تتضمن طرق وأساليب التفكير، والتعلم الذاتي المستمر.

2. التعليم والعمل: من المهم أن يكون للتعلم عائد ومردود، ولكن لابد من اعادة بناء مفهوم ربط التعليم بالوظيفة، سواء أكانت حكومية أو لم تكن.

3. التعليم والتلقين: يجب أن يشعر المتعلم بأنه جزء أصيل في عملية التعليم؛ وذلك من خلال التعلم، أي أن يشعر المتعلم بأنه ركن أصيل في العملية التعليمية والتربوية وأنه قد اكتسب المعلومة بجهده، وليست من خلال جهد المعلم.

4. التعليم والانفجار المعرفي: لابد أن يواكب التعليم تلك الطفرة المتسارعة والقفزة العالية التي حدثت في وسائل التقنيات المستحدثة، وأن يستفيد من التقنية العلمية التي جعلت التعلم، وليس التعليم، في متناول الجميع.

5. التعليم والهوية: العمل الأساسي للتربية والتعليم، في كل مجتمع، هو ترسيخ الثوابت الدينية والثقافية للأمة؛ مما سيسهم في علاج المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، والأخلاقية.

مما سبق تجب الإشارة إلى أن التعليم الجيد يمثل خطوة بل قفزة في فضاء الوصول إلى التعلم، إذ إن التعليم، في العديد من دول العالم الثالث، لا يعدو كونه تلقين وتلقٍ للمعلومات ومن ثم استظهارها في أوراق الاختبارات، بينما يشكل التعلم الممتاز القدرة على اكتساب المعرفة بشكل ذاتي[1]، يقول الإمام محمد عبده: من يريد خير البلاد فلا يسعى إلا في التربية، وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه...، بدون اتعاب فكر ولا اجهاد نفس[2]، ولا ينحصر دور التعلم ومفهومه في القدرة على اكتساب المعرفة، وإنما يتعداه إلى آفاق أبعد وأرحب، ألا وهي القدرة على الاستفادة من التعليم في المواقف الجديدة التي لم يتم تعلمها في حجرات وقاعات

1- حسن أحمد عيسى: الابداع في الفن والعلم، ص: 200، سلسلة عالم المعرفة (الكويت 1978م).
2- محمد عمارة: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ص: 39، ج1، دار الشروق (القاهرة)، 2008م.

الدراسة، حيث تروي لنا سيرة اسحاق نيوتن أنه حينما كان في الثانية والعشرين من عمره (1665م) انتشر مرض الطاعون في في جنوب إنجلترا؛ فتم إغلاق الجامعة التي كان ينتسب إليها وهي جامعة كمبريدج؛ فقضى نيوتن تلك الفترة في منزله، بعيدًا عن ممارسة التعليم التقليدي، في وقت كان فيه شديد التوق واللهفة إلى المزيد من التعليم، ويصف نيوتن تلك الحالة بقوله: كنت في ربيع عمري شديد التوق للكشف العلمي، بهذه اللهفة وبمزاج صبياني كنت جالسًا في حديقة أمي فرأيت تفاحة تسقط على الأرض، فخطرت لي فكرة أن الجاذبية الأرضية نفسها التي تصل إلى قمة الشجرة، ربما تمتد إلى ما وراء الأرض وهوائها وإلى فضاء بلا نهاية[1]. وإذا توقفنا عند المغزى الرئيس من هذه الحادثة؛ نجد أن نيوتن قد استفاد من التعليم في التعلم ليبدع للبشرية أفكارًا مبتكرة وليست بالنمطية التقليدية. أما البرت أينشتاين فيقدم لنا نموذجًا يختلف عن سابقه (نيوتن) فيقول: لقد كان على المرأ أن يحشو عقله بكل هذه المواد، سواء أكان يحبها أم لا، وكان لهذا الإجبار أثر بلغ من سوئه عليّ، أنني وجدت، عندما اجتزت الامتحان النهائي، أن أنظر في أي مشكلات علمية أمر بغيض لمدة عام كامل[2].

لقد انعكست تلك الأساليب التعليمية غير السليمة واللاسوية على عدد غير قليل من العلماء الأمر الذي أسهم، في بعض الأحيان، في نفورهم من التعليم النظامي، وهم مدركون تمامًا لأهمية التعليم وقيمته التي لا يقدرها إلا ذووه، لذلك نجدهم قد تركوا مقاعد التعليم وسعوا إلى التعلم، أي أنهم عملوا على التعلم الذاتي وهو أرقى وأسما من التعليم النظامي، فكانت لهم إسهامات أفادت منها الإنسانية بقدر فاق تصور العقل البشري، وخلدوا أسماءهم في سفر الخلود بأحرف نورانية ومداد من ماء الذهب، فكان من بينهم الفلاسفة والمفكرون والعلماء الأفذاذ، أمثال: اسحاق نيوتن (1642-1727م)، الذي لم تظهر عليه أي ملامح للذكاء وقد لاحظت والدته مهارته اليدوية فأخرجته من الدراسة لعله يفلح في نجارة أو حدادة ..، إلا أنه قد تخطى الحدود بعبقريته واكتشافاته، أما بنيامين روزفيلت (1706-1790م)، فقد ترك مقاعد الدراسة مبكرًا إلا أنه قدم للإنسانية، خلال خمس سنوات (1747- 1752م)، ما لم يقدمه يقدمه غيره من العلماء طوال سنوات حياتهم، وقد اسهم

1- محمد الدنيا، هل بلغ الذكاء البشري حدوده القصوى؟، مجلة العربي العلمي، ص: 20، العدد: 22، السنة: أكتوبر 2013م
2- دين كيث سايمنتن، العبقرية والابداع والقيادة، ترجمة: شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة الكويت 1993م، ص: 99.

بعدد من المخترعات بجانب أنه كان صحفيًا لامعًا وسياسيًا وسفيرًا ناجحًا ورسامًا برعًا ..، وهو من بين الخمس الذين وقعوا على وثيقة استقلال أمريكا، وهذا هو كارل شيلي (1743-1786م)، والذي لم ينل حظًا من العليم يوازي منجزاته واكتشافاته لثاني أكسيد المنجنيز، وأكسيد الباريوم وفلوريد الهيدروجين..، وهناك تشارلز داروين (1809-1881م) الذي قضى، في المرحلة الثانوية، سبع سنوات لم ينل فيها سوى القليل من التعليم وكتب عنه المدير، في تقريره، أنه أبله، وقرعه والده، وهو طبيب، بقوله: إنك لا تعنى بشئ سوى صيد الكلاب واقتناص الجرزان، وسوف تكون عارًا على نفسك وعلى أسرتك، إلا أن حب المعرفة دفع داروين إلى تعلم الطب ولكنه تركه قبل أن يكمل دراسته، وبالرغم من كل هذا فقد نال داروين حظًا وافرًا من النجاح والشهرة وذيوع الصيت في مضمار العلوم الإنسانية بنظريته النشوء والارتقاء والمعروفة بنظرية التطور، والتي ضمنها كتابه (أصل الأنواع 1859م). ونختم بحادثتين أو واقعتين، الأولى للعالم جون جريجوري مندل (1822-1884م)، وتكمن الطرافة في أنه لم يفلح في الحصول على مؤهل دراسي بسبب رسوبه في مادة الأحياء، ولكن عندما بدأ بعض العلماء أبحاثهم في علم الوراثة أدركوا أن مندل قد سبقهم، بعدة عقود، في هذا المضمار، إذ أن بحثه القيم، في مجال الوراثة، والذي أرسله للنشر (1866م) قد تم اهماله الأمر الذي سبب له الكثير من الاحباط فلم ينجز شيئًا سواه حتى أدركته الوفاة. والثانية تتعلق بولهلم كونرد رونتجن الذي طرد من المدرسة عندما ضبط وهو يضحك ساخرًا من رسم كريكاتوري للمدير، وفيما بعد أصبح ولهلم عالم فيزياء ذاعت شهرته باكتشافه لأشعة (X) وقد أسهم امتشافه في كثير من الأعمال الهامة بعد ذلك، وهو أول من حصل على نوبل 1901م[1]. وغير هؤلاء هناك استيف جوبز (1955-2011م) والذي تحدثنا سيرته الذاتية بأنه لم يكمل تعليمه الجامعي ولكنه أسس أضخم وأكبر شركة في مجال الحواسيب الإلكترونية (شركة أبل) للكمبيوتر، وكان نجمًا من نجوم التكنولوجيا، ولن ننسى أسطورة التقانة والبرمجيات الحاسوبية بيل جيتس الذي أبهر العالم بإنجازاته في مضمار الحواسيب وما نجم عنها من تقدم تقني ما زال يدهش كل العالم بخدماته المتطورة يومًا بعد الآخر[2].

1- أكرم عبد الوهاب: 100 عالمغيروا وجه العالم، ص: 71 وما بعدها، دار الطلائع (مصر) 2005م.

2- كارن بلومنتال: ستيف جوبز، ص: 9، ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، مؤسس قطر للنشر (قطر) 2012م.

ومما يذكر في مضمار تغيير السياسات العليمية أنه في العام 1957م شعر الأمريكان بلتخلفهم، في مضمار التعليم؛ وذلك حينما أطلق الاتحاد السوفيتي، سابقًا روسيا حاليًا، أول قمر صناعي، وفي العام 1959م أطلقوا أول رائد فضاء (يوري قاقرين)، فما كان من الأمريكان إلا أن عادوا إلى مناهجهم التي لم تمسها يد التغيير منذ العام 1917م، فعملوا على بنائها واصلاحها وتطويرها، الأمر الذي ساعدهم على التفوق على منافسهيم الروس، بعد مرور غقد من السنوات، في العام 1969م حيث أنزلوا أول رائد فضاء (نيل آرم استرونج) ليمشى على سطح القمر[1].

1- محمد الباتع محمد عبد العاطي: المزج بين التكنولوجيا والمنهج، ص: 13، المكتبة التربوية، (مصر) 2010م.

المبحث الثاني : فلسفة التعليم

كان العلم ولا زال السر الكامن وراء تقدم الأمم وتفوقها...، ومن المتوقع أن يحدث العصر الرقمي قفزة عالية وثورة تعليمية هائلة[1]، حيث تعتبر الوظيفة الاقتصادية من أبرز وظائف التعليم الجامعي فالتعليم يلعب دورًا واضحًا لا يمكن أغفاله في مختلف صور التنمية الاقتصادية، ويمكن رؤية ذلك الدور في: اعداد وتأهيل وتدريب القوى العاملة الماهرة والمدربة والمتخصصة[2]، فهناك صلة وثيقة ووطيدة بين ما يقوم به العقل كنشاط ذهني فكري، وبين التعليم الذي يمثل الركيزة الأساسية في مضمار التقدم والتطور البشري منذ القدم وإلى ما شاء الله تعالى. ويعد العالم الفرنسي، الفرد بينيه*[3]، هو أول من مهد المضمار لدراسة الذكاء بالاتفاق مع ثيودور سايمون، حيث طورا، معًا، مجموعة اختبارات أطلق عليها، اختبارات بينيه سايمون لقياس الذكاء العقلي (الذكاء الفطري). أما عن الذكاء الاصطناعي فهو أحد فروع علوم الحواسيب، وهو يهتم بتصميم البرامج الحاسوبية التي تتطلب قدرًا عال من الذكاء، والغرض منها هو تطوير قدرات العقل البشري من خلال بناء اختبارات تهدف إلى حلق قدر من التحدي والمنافسة بين قدرات العقل البشري لدى الإنسان وبين الذكاء الصنعي المتمثل في الإمكانات والقدرات الآلية؛ وذلك من أجل تهيئة الإنسان للمواقف الطارئة ودفعه إلى مواجهة المشكلات الفجائية التي تعمل على تحفيز الجسم لافراز هورمون الأدرينالين في الجسم في الحالات الطارئة والمباغتة، ويغول العلماء كثيرًا على الذكاء الاصطناعي ليسهم، بشكل فعال، في حل مشكلات لم ترد في المناهج والمقررات التعليمية؛ وذلك من خلال تطبيق برامج الذكاء الاصطناعي التي تنطلق من الواقع الافتراضي، حيث تتسم تلك البرامج بالعديد من المميزات: كمساعدة رجال الفضاء والأطباء على مواجهة مشكلات تستدعي حلاً آنيًا سريعًا، كما يمكن للذكاء الاصطناعي أن يسهم في تعلم مهارات لغوية جديدة، ويعمل على ابتكار حلول غير تقليدية للمعضلات التي تجابه البشرية. وتعتمد

1- محمد الباتع محمد عبد العاطي: المزج بين التكنولوجيا والمنهج، ص: 3، المكتبة التربوية، (مصر) 2010م.

2- فتحي عبد الرسول محمد، اتجاهات حديثة في التعليم الجامعي، ص: 111، دار العلوم للنشر والتوزيع، (القاهرة) 2014م.

3*- الفرد بينيه (1857 - 1911): عالم نفس فرنسي عمل كثيرًا من أجل الاهتمام بالدراسات النفسية للأطفال، وقد وكلفته الحكومة الفرنسية بوضع منهاج يُمكِّن من اكتشاف الأطفال الذين يعانون الضعف العقلي من أجل أن تقدّم لهم تعليمًا مدرسيًا خاصًا.

بحوث الذكاء الاصطناعي على صناعة حواسيب ذات إمكانات وقدرات تحليلية ضخمة تتحدى قدرات العقل البشري؛ مما يجعله ينشط ويعمل بكفاءة أعلى من معدلات عمله في حال الذكاء الطبيعي أو الفطري[1]، وخلاصة مفهوم الذكاء الاصطناعي، وما ينتج عنه من برامج؛ هو أنه يمثل نوعًا من أنواع التحدي والتنافس بين ما تقدمه الآلات وبين يقدمه البشر، في مضمار تقديم قدر عال من الرفاهية للبشرية جمعاء، أي أن الهدف الأول هو إجراء مقارنة بين ما تتميز به الآلة من إمكانات، وبين القدرات الذهنية للإنسان؛ اعتمادًا على برامج حاسوبية مصممة من قبل خبراء في العديد من المجالات المختلفة والمتنوعة[2].

ويُستخدم الذكاء الاصطناعي، حاليًا، في العديد من المجالات: العسكرية والصناعية والاقتصادية والتقنية والتطبيقات الطبية هي الأكثر انتشاراً في ربوع العالم العربي، وقد بات الذكاء الاصطناعي في كثير من المجالات حقيقة ملموسة، أسهمت في إنجاز العديد من القفزات العلمية والمعرفية كالتعرف على الأشكال، والوجوه أو التعرف على خط اليد وغيرها من المجالات الأخرى كما يتم استخدام الذكاء الاصطناعي في التشخيص والتحكم اللا خطي كالتحكم بسكك الحديد. كما تستخدم الروبوتات في المفاعلات النووية وتمديد الأسلاك وإصلاح التمديدات السلكية التحت أرضية واكتشاف الألغام وتستخدم الروبوتات أيضا في الصناعات كصناعة السيارات والمعالجات وغيرها من المجالات الدقيقة كما تم استخدام برامج الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات كتحليل البيانات الاقتصادية كالبورصة ويستخدم أيضاً في الألعاب الحاسوبية حيث تم تطوير نظرية الألعاب وذلك بالاستفادة من الذكاء الاصطناعي وقد ساهم الذكاء الاصطناعي كثيرًا في هذا المجال، وقد أضاف استخدام برامج الذكاء الاصطناعي بصمات واضحة في تنمية وتطوير الموارد الاقتصادية في جميع أنحاء العالم[3].

من هذا المنطلق يمكننا القول بأن الذكاء الاصطناعي يمثل تنافسًا وتحديًا بشريًا تدور رحاه بين قدرات الآلة وإمكانات العقل البشري الذي يبحث عن التفوق للجنس البشري، كما أنه يشكل إضافة مبتكرة وخلاقة للذكاء الفطري، وليس هذا فحسب؛ فبرامج الذكاء

1- ألان بونيه: الذكاء الاصطناعي، ص: 44، ترجمة: علي صبري الفرغلي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت).

2- نفس المصدر، ص:7.

3- فلسفة الذكاء الاصطناعي، موقع موسوعة الويكيبيديا.

الاصطناعي تتميز بقدر كبير من التوسع والمشاركة والانفتاح على العلوم الأخرى، حيث يشترك في تصميم تلك البرامج: مهندسو الحواسيب، وعلماء التربية وعلم النفس، والفلاسفة والمفكرون، وعلماء الرياضيات والفيزياء...، وغيرهم ممن يهتمون بترقية وتطوير القدرات العقلية والفكرية لدى الكائن البشري[1].

1- المصدر السابق، ص: 210.

المبحث الثالث: الاقتصاد

إن رأس المال الحقيقي يكمن في الثروة البشرية وفي قيمة ما عند الفرد من كم معرفي وفي حجم خبراته وكيفية الافادة منها والانتفاع بها، أي أن القيمة الجوهرية للإنسان تتمثل وتتجسد في القدرة على التفكير الخلاق والابداع المبتكر وليست في كم وحجم الموارد المادية المخزونة لديه[1]، وتمثل أفريقيا أكبر دليل على ذلك عند مقارنتها بأوربا، على سبيل المثال، فالقارة الأوربية تكاد تكون خالية من الموارد (الخام)، ولكنها غنية بل وفاحشة الثراء من حيث تدفق الأفكار والابتكارات والابداعات البشرية التي تشكل معينًا اقتصاديًا لا يكاد ينضب ورافدًا علميًا لا ينفد.

الاقتصاد، كما يُعرِّفه الاقتصاديون المتخصصون في علم الاقتصاد، بأنه العلم الذي يُعنَى بدراسة كيفية إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها. ويعني الاقتصاديون بالسلع والخدمات كل ما يمكن أن يقوَّم، أي أن تكون له قيمة مادية، بينما يعنون بالإنتاج العمليات التي تتم لمعالجة السلع والخدمات وتصنيعها، أما عن مفهوم التوزيع فيعنون به الشكل أو الأسلوب الذي يتم به تقديم السلع والخدمات وتوصيلها للناس. وتنقسم دراسة الاقتصاد، عادة، إلى فرعين: الاقتصاد الكلي والاقتصاد الجزئي؛ ويُعرّف الاقتصاد الكلي بأنه ذلك الجزء من الاقتصاد، الذي يبحث في شؤون النظام الاقتصادي بمجمله بدلاً عن القطاعات المنفردة الموجودة فيه، فعلى سبيل المثال، فإن دراسة الاقتصاد الكلي لأمة من الأمم ستبحث، على الأرجح، في الناتج القومي الإجمالي وتحلله، وستنظر تلك الدراسة في العلاقات التي تربط بين هذه المؤشرات الاقتصادية المهمة، وتحاول أن توضح التغييرات التي تمر بها تلك المؤشرات خلال فترة زمنية معينة، ربما تمتد لخمس سنوات. أما دراسات الاقتصاد الجزئي فهي تُركز على قطاع منفرد من الاقتصاد، وتبحث في التأثيرات المتعلقة بذلك القطاع بكثير من التفصيل، وقد يتكون هذا القطاع من مجموعة من المستهلكين، أو من شركة معينة أو من سلعة من السلع، ومن الأهداف الرئيسية للدراسة الاقتصادية الجزئية تحديد الكيفية التي تؤثر بها قرارات المستهلك وأنشطته، أو الشركة، أو أي وحدة أخرى مدروسة، على الأسعار الخاصة بسلعة أو خدمة معينة. ويدرّس علم الاقتصاد، في الجامعات، على

1- عبد الرحمن العيسوي: موسوعة ميادين علم النفس، ص: 18، علم النفس الإعلامي ج7، دار الراتب الجامعية (مصر) 2004م

اعتبار أنه العلم الاجتماعي الذي يهتم بتحليل الأنشطة التجارية، كما يهتم بمعرفة كيفية إنتاج السلع والخدمات، ويَدرس علم الاقتصاد الطريقة التي تُنتج بها الأشياء التي يرغب فيها الناس وطريقة توزيعها، كذلك يدرس علم الاقتصاد اختيارات الناس والأمم للأشياء التي يشترونها من بين الحاجات المتعددة التي يرغبون فيها، وهذا يقود، بدوره، إلى دراسة العلاقة الوطيدة التي تجمع بين أصحاب الثروات الاقتصادية، وبين ذوي العقول العلمية والمعرفية، التي تعمل على تنمية وبناء الاقتصادات لدى الأمم والشعوب.

ويسعى الاقتصاد إلى حل المشكلات الناجمة عن حاجات الفرد أو الجماعة؛ وذلك بغرض المواءمة بين الموارد أو الإمكانات المادية أو الاقتصادية المتاحة والمتوفرة، وبين الاحتياجات؛ أي أنه يسعى إلى التوفيق بين الاستهلاك والدخل (الناتج المحلي)، حيث يجتهد الاقتصاديون لحل مشكلات توزيع السلع والخدمات المتعددة والبديلة؛ بغرض تحقيق أهداف معينة يسعى إليها المجتمع[1]. وبذلك يمكن القول بأن الاقتصاد هو العامل الأكثر أهمية في تسيير وتصريف شؤون المجتمع، حيث يشكل الاقتصاد رافعة رئيسة للقوة الشاملة لأي دولة؛ لأنه، ببساطة، هو المحدد لمستويات المعيشة ولأسس الاستقرار الاجتماعي والسياسي الداخلي، وهو الممول للقوة العسكرية ولبناء النفوذ الخارجي[2]، وهو يلعب الدور الأهم والأبرز في تشكيل السلوك الإنساني. قال تعالى:

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ قريش:1-4.

هذه الآيات تشير، إشارة واضحة، إلى أهمية الحركة التجارية، وقد منَّ الله، تعالى، على قريش بنعمتي الطعام والأمن، حيث جمعت الآيات بين غريزتي الجوع والخوف، وفي ذلك دلالة بأنه لا سلام ما لم يتوفر الطعام والأمن؛ ولذلك يُطمئن الحق، عزَّ وجل، الإنسان على رزقه وأنه سيتكفل به نيابة عنه فلا يجب أن يخشى الفقر:

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾ الإسراء:31.

1- عبد الله طاهر وآخرون – الاقتصاد السياسي، ص: 19، دار الأوائل للنشر، عمان 2002م

2- أحمد محمود الزنفلي: التخطيط الاستراتيجي للتعليم الجامعي، ص: 520، مكتبة الآنجلو المصرية، (مصر) 2012م.

ولننظر إلى دعوة نبينا إبراهيم، عليه السلام، ونأخذ العبرة منها، حين قال:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾ القرة: 126.

فلم يقتصر الأمر على قبول دعوة إبراهيم، عليه السلام، بل رد رب العزة تبارك وتعالى:

﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة: 126.

وفي قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) مع عزيز مصر الكثير من العبر والدلائل على أهمية الاقتصاد، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ يوسف:54،55.

إن التالي للآيتين الكريمتين تتجلى له أهمية الجانب الاقتصادي بوضوح شديد، في اختيار سيدنا يوسف (عليه السلام) لوظيفة تعد من أهم الوظائف في المجتمع البشري وهي وظيفة التحكم في ضبط المال وإدارته (وزير المالية). إذ إن يوسف (عليه السلام) لم يأت بموارد اقتصادية جديدة تزيد من حجم الناتج القومي المحلي أو دخل الدولة، بقدر ما أنه سعى إلى تغيير مفاهيم الناس حول كيفية إدارة الموارد الاقتصادية التي كانت متاحة، لهم، في حينها، ومن هنا نستخلص العبرة والحكمة من هذا النموذج القصصي والتعليمي في آن واحد، فالاقتصاد، بشكل مبسط، ما هو إلا عبارة عن تنظيم يستهدف اشباع حاجات الإنسان مستخدمًا كل ما هو متاح من وسائل الانتاج الممكنة[1]. وكذلك سار الخليفة الأموي، عمر بن عبد العزيز، الذي تولى الخلافة بين عامي(99 - 101هـ)، على ذات النهج وسلك نفس الدرب، حيث كان لهذا الخليفة الأموي، موقف نادر وفكر ثاقب بعيد النظر؛ في محاربته للفقر، الذي يشكل الضلع الثالث في مثلث أعداء الإنسانية الثلاثة: الفقر، الجهل، المرض؛ فكيف استطاع أن يدرك تلك الغاية السامية الرفيعة، والتي عجز عن بلوغها، كل

1- حسين عمر: مبادئ علم الاقتصاد، ص: 527، دار الفكر العربي، (القاهرة) 1989م.

الاقتصاديين، على الرغم مما توفر لهم من: مال وعقل وتقنيات ...، وغير ذلك من وسائل دفع الفقر!!؟[1].

لقد عمد عمر بن عبد العزيز إلى تقسيم المجتمع إلى فئات ثلاث: فئة الأثرياء، وهم الذين يدفعون الزكاة عن أموالهم، وفئة الفقراء، وفئة المساكين، وهما من مصارف الزكاة، بعد هذا عمد عمر إلى تقسيم الفئتين الأخيرتين إلى فئتين (فقراء ومساكين)، والمساكين هم الفئة الأكثر والأشد حوجة للمال، ولكن قريحة عمر ركزت كل جهده على الفئة الأولى (وهم الأفضل حالاً)؛ فقدم لهم جل مال الزكاة، في العام الأول، الأمر الذي دفع عنهم ضائقة الفقر وذله، فما كان من تلك الفئة الفقيرة إلا أن أخرجت زكاة مالها في العام التالي، بعد ذلك صوب سهام جهده إلى فئة المساكين فدفع إليهم أموال الزكاة فأغناهم بها فعملوا هم أنفسهم على إخراج زكاة أموالهم في العام التالي، وبذلك لم يوجد من يقبل الزكاة في العام الذي تلاه.

إن المتأمل لهذه القصة، وما حوته من عبر ودروس، يرى أن عمر قد استقرأ الأحاديث النبوية الشريفة واهتدى بهديها القويم، واستفاد من حديث رسولنا الكريم، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم،:(...عن أنس أن رجلا سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، غنما بين جبلين فأعطاه إياه فأتى قومه فقال: أي، قوم أسلموا فوالله إن محمدا ليعطي عطاء من لا يخاف الفقر...)[2]. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم)، وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (إذا أعطيتم فأغنوا)[3].

1- الموسوعة العلمية العربية 2009م

2- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، صحيح مسلم ج4-ص1806، دار إحياء التراث العربي (بيروت).

3- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: سنن البيهقي الكبرى، ج:7، ص:23، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة) 1994م.

المبحث الرابع: خصائص وسمات

إن ما ترمى به المجتمعات المسلمة، اليوم، من قلة الانتاج وعدم الابداع والتسيب وعدم الاتقان، والتقليد الأعمى وعدم اتباع أسس منهجية واضحة، قد يكون فيه جانب من الصدق، يعود إلى تقصيرنا وعدم استخدامنا الأمثل للإسلام كنظام جامع ومنهاج شامل للحياة تحقيقًا[1] لقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام:162.

والمال ليس مذمومًا في ذاته في دين الله، ولا مبغضًا عنده، تعالى، على الإطلاق ...، كما هو ظاهر نصوص بعض الأديان السابقة. فكأن الله يقول: إننا لا نأمركم بإضاعة المال واهماله، ولا بترك استثماره واستغلاله، وإنما نأمركم باكتسابه من طرق الحل، وأن تنفقوه وتستخدموه في طرق الخير والبر[2].

من هذا الباب يمكنك القول بأن مفهوم الاقتصاد الإسلامي، كما سبقت الإشارة إليه منقبل، ينبني على الحرية الاقتصادية للفرد في مجال نشاطه التجاري الخاص وحركته الاقتصادية في الإطار العام، أي أنه يجمع بين الفردية والأسس والقواعد الاجتماعية التي تقوم على مبدأ الماصالح المشتركة في ابرام الصفقات والعقود التجارية، حيث يعمل الإسلام على محاربة الفقر من خلال ضبط التشريعات والقوانين الفقهية التي ألزمت الأثرياء بدفع وإخراج الزكاة كما اقتضت تلك التشريعات أن يكون هناك بيت مال للمسلمين يرعى شؤونهم ويهتم بحقوقهم، وقد فصل الإسلام بين مالية الحاكم الخاصة وبين مالية الدولة؛ وذلك منذ أن أنشأ أمير المؤمنين، عمر، رضي الله عنه، بيت المال وخصص فيه لكل نوع من الإيرادات جزءًا خاصًا به في بيت المال فكان هناك جزء للزكاة، وجزء للفئ (الخراج والجزية والعشور) ..، وكان الغرض من تلك الخطوة هو ألا تتداخل الاخصاصات المالية من حيث الإيرادات والنفقات[3]. ويمثل بيت المال، في النظام الإسلامي، الركيزة والدعامة الأساسية للاقتصاد

1- أحمد مجذوب أحمد علي: السياسة المالية في الاقتصاد الإسلامي، ص: 18، هيئة الأعمال الفكرية، (الخرطوم) 2002م.
2- محمد عمارة: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ص: 139، ج1، دار الشروق (القاهرة)، 2008م.
3- أمينة أحمد إمام الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، ص: 22، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) 1994م.

الإسلامي فهو الركن الرشيد والمتين الذي يأوي إليه كل محتاج، سواء أكان مسلمًا أو غير مسلم حتى، كما أن من مهام بيت المال أن يقوم بمراقبة حركة ونشاط جميع الأسواق حتى يتلافى حدوث أي ندرة في السلع الاستهلاكية، ويتمتع الاقتصاد الإسلامي بسمات وخصائص تميزه عن سواه من الاقتصادات، فنظام الاقتصاد الإسلامي يمثل السلوك الإسلامي تجاه الموارد المادية، وهو يهدف إلى إشباع حاجات الفرد والمجتمع على السواء. ولاشك في أن السلوك الإسلامي نابع من عقيدة تقوم على البر وحسن الخلق، وقد ورد في الحديث: (عن النواس بن سمعان الأنصاري قال سألت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)[1]، فالإسلام لا يدعو إلى جمع الثروات واكتناز المال بشكل فردي، وإنما يعمل الاقتصاد الإسلامي لمصلحة المجتمع بكامله، ولذلك تراه يحذر من اكتناز المال، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ التوبة: 34-35.

ويحث الإسلام على الصدقة وبذل المال في سبيل الله (عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا أنفق إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله)[2].

وتدعو العقيدة الإسلامية الناس إلى التوسط في الإنفاق، وترفض، الافراط والتفريط، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ الإسراء:29.

والعقيدة الإسلامية تأبى وتحرم التلاعب في المقاييس والموازين:

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ المطففين: 1-3.

1- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري: صحيح مسلم ج4-ص1980، دار إحياء التراث العربي، (بيروت).

2- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: تفسير ابن كثير ج3-ص38، دار الفكر (بيروت) 1401هـ.

وهي، كذلك، تحرم الربا والتعامل به:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ البقرة: 275.

وفي الأحاديث النبوية الشريفة:

(إني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح إلا سواء بسواء عينا بعين فمن زاد أو ازداد فقد أربى)[1].

(عن أنس قال: قال، الناس يا رسول الله، غلا السعر فسعر لنا، فقال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال)[2].

من هنا كانت العقيدة الإسلامية هي الحادي الذي يهتدي بهديه الاقتصاد الاسلامي، الذي لا يمكن أن يعمل بمعزل عن الهدي الإلهي الخالد والسنة النبوية المطهرة.

يقول عالم الاقتصاد الاسكتلندي آدم سميث (1723-1790م)، (إننا لا نتوقع أن يتكرم علينا الجزار أو الخباز بطعام العشاء، لكننا نتوقعه من اعتبارهما لمصلحتهما الشخصية، ونحن لا نخاطب إنسانيتهما لكن نخاطب حبهما لنفسيهما، ولا نتحدث عن ضروراتنا، لكن عن مكاسبهما)، تؤكد هذه المقولة أن الاقتصاد الرأس مالي اقتصاد براغماتي (Pragmatism)، لا يعرف سوى المنفعة الآنية، في حين ينبني الاقتصاد الإسلامي على الأجر والثواب في الآخرة، قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ التوبة: 103.

وفي الحديث:

1- صحيح مسلم ج3-ص1210.

2- سليمان بن الأشعب أبو داؤود السجستاني: سنن أبي داود ج3-ص272، دار الفكر (بيروت).

(عن بن عباس قال: قال، رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار)[1]. ونذكر، هنا، بعضًا من تلك المميزات، لضيق الوقت والمساحة:

1- حرم الإسلام التعاملات المالية الضارة بالنفس والمضرة بالمجتمع، قال تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: 188.

وفي الحديث: (عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: إن الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه)[2].

2-الإسلام يحرم الغش، (عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا)[3].

3- حرم الإسلام الغَرَر وما شابهه، (عن أبي هريرة قال: نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر)[4].

4- حرم الإسلام كل تدخل غير المشروع بين البائع والمشتري، (عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: لا يتلقى الركبان للبيع ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ولا تناجشوا ولا يبيع حاضر لباد ولا تصروا الإبل والغنم فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها فإن رضيها أمسكها وان سخطها ردها وصاعا من تمر)[5].

(عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لا يسم المسلم على سوم أخيه)[6].

5- اهتم الإسلام بضبط والمقاييس، قال تعالى:

1- محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني: سنن ابن ماجه ج2-ص826، دار الفكر (بيروت).

2- سنن أبي داود ج3-ص279.

3- صحيح مسلم ج1-ص99

4- صحيح مسلم ج3-ص1153.

5- سليمان بن الأشعث أبو داؤود السجستاني: سنن البيهقي الكبرى ج5-ص346، دار الفكر.

6- صحيح مسلم ج3-ص1154.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ الإسراء:35

6- حث الإسلام على ضمان العقود، قال تعالى:\

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ المائدة: 1.

وفي الحديث: (وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، المسلمون عند شروطهم)[1].

7- والقاعدة الكبرى هي ألا ضرر ولا ضرار، (عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: لا ضرر ولا ضرار من ضار ضاره الله ومن شاق شاق الله عليه)[2].

لقد كان الاقتصادي البريطاني مَالتوس[3] (توماس روبرت مالتوس 1766 - 1834م)، شديد التشاؤم حينما زعم، في مقالته عن مبادئ علم السكان المنشورة سنة 1798م، أن عدد السكان يتزايد بمتوالية هندسية (1، 2، 4، 8، ...)، في حين تتزايد الموارد الطبيعية بمتوالية عددية (1، 2، 3، 4، ...)، وقد أوحت مقالة مالتوس المذكورة إلى تشارلز داروين بفكرة العلاقة بين التطوّر والبقاء للأصلح. وقد فشلت تنبؤات مالتوس، حيث أمكن، عن طريق وسائل الزراعة المتقدمة، إنتاج الطعام الكافي لمعظم، إن لم يكن لكل، الناس، كما أن الزيادة المطردة في السكان في القرن العشرين، وخاصة في الدول النامية، أدت إلى التنبيه إلى أفكار مالتوس[4].

1- صحيح البخاري ج2-ص794.

2- محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ج2-ص66، دار الكتب العلمية (بيروت) 1990م.

3**- وُلِدَ مالتوس في مدينة سري ببريطانيا، وكان يرغب في أن يكون رجل دين، إلا أنه بعد تخرجه في جامعة كمبردج عمل أستاذًا للتاريخ والاقتصاد السياسي في كلية شركة الهند الشرقية عام 1805م وبقي في هذه الوظيفة إلى أن توفي. وجدير بالذكر أن نظرية مالتوس أخفقت علميًا، وهي معارضة لمبادئ الدين الإسلامي الذي يجعل حفظ النسل مقصدًا من مقاصد الشريعة التي قامت لتحقيقها وهي حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل.

4- حسين عمر: مبادئ علم الاقتصاد، ص: 65، دار الفكر العربي، (القاهرة) 1989م.

المبحث الخامس: الاقتصاد والسياسة

توجد ثمة علاقة تكاملية ولكنها، في ذات الآن، تنافسية، بين الاقتصاد والسياسة، وهي علاقة أزلية قديمة بل وضاربة في أعماق التاريخ الإنساني، وقد ظلت هذه العلاقة ثابتة لا تتزحزح إلى اليوم، إذ لا يمكن للسياسة أن تستغنى عن الاقتصاد، كما لا يمكن للاقتصاد أن ينعتق من ربقة السياسة، فهما أشبه بتوأمين سياميين من الصعب، هذا إن لم يكن من المستحيل، الفصل بينهما، فهناك صلة وثيقة طالما ربطت بين أكبر قوتين عظميين هما: سلطة المال وسطوته وقوة السلطة السياسية، فعلى الرغم من قوة السلطة السياسية، إلا أن الغلبة، دومًا، تكون للاقتصاد، فهو يمثل القبضة المتحكمة في الوضع السياسي للدول، فالاقتصاد والعلوم السياسية، كلاهما، في معظم الجامعات، يجتمعان في كلية أو قسم واحد، وبما أن الاقتصاد يتقدم على السياسة، فهذه إشارة، واضحة الدلالة، تؤكد على أهمية الدور الذي ينهض به الجانب الاقتصادي في حياة المجتمعات البشرية.

غير أن أكثر ما يسترعى الانتباه ويلفت نظر المتتبع لحركة السوق والأنشطة الاقتصادية الكبرى، في مجال التجارة والأسواق، هو أن أصحاب رؤوس الأموال والمالكين لها، والمتحكمين في الحركة التجارية والأنظمة الاقتصادية، عالميًا ومحلياً، غير متعلمين، أو لنقل أنهم ليسوا من ذوي الشهادات الأكاديمية ذات المستوى العالي، إلا في القليل النادر، وهناك ملاحظة، أخرى جديرة بالاهتمام، ألا وهي، أن من يُصرِّف حركة تلك الأموال ويتحكم في إدارتها، من ناحية علمية وعملية، هم المتعلمون؛ لاسيما أولئك الذين يحملون درجات علمية وشهادات أكاديمية مرموقة، ممن يتميزون بالكفاءات والخبرات المميزة، فهم الذين يتبوؤون المناصب المتقدمة في الوزارات، والشركات التجارية والمؤسسات المالية الضخمة، والبنوك، ولكنهم، في ذات الآن، لا يملكون الكثير من المال كنظرائهم من أصحاب الأسماء اللامعة في مجال المال والأعمال، بل ربما وجدنا، بعض، ذوي الشهادات من الطبقة الكادحة، الذين بالكاد، توفر لهم دخولهم (مرتباتهم) حياة متواضعة، بينما هناك من رجال الأعمال من هم متخمون بالمال، وهم بالكاد يحسنون كتابة أسمائهم، أي أنهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون، إلا أنهم يحسنون قراءة حركة السوق بصورة لا يجاريهم فيه أصحاب الشهادات الأكاديمية.

وقد ارتبط مفهوم الملك والتحكم في سياسة المجتمع، قديمًا وحديثًا، بكثرة المال، ولنقرأ قوله تعالى:

﴿قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: 247.

لا يحتاج مفهوم هذه الآية إلى شرح أو تفسير حيث يرى القوم أن الملك يتأتى من خلال سعة المال ووفرته في يد الملك، أي أنها السيطرة الاقتصادية؛ مما جعلهم يظنون أنفسهم أحق بالملك منه، لما يمتازون به من غنىً وثراء؛ حيث أورد الإمام الطبري في تفسيره: «ولم يؤت سعة من المال»، يعني: ولم يؤت طالوت كثيرا من المال، لأنه سقاء، وقيل: كان دباغا[1]. كذلك يقول تعالى:

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ هود:12.

وقد ورد في تفسير الشيخ الواحدي لهذه الآية قوله: ... هلاَّ أُنزل عليك مَلَكٌ يشهد لك بالنُّبوَّة والصِّدق، أو تُعطى كنزاً تستغني به أنت وأتباعك[2].

﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ الفرقان:8.

وقد ورد في تفسير هذه الآية في كتاب أيسر التفاسير للجزائري: ...، فسل ربك ينزل إليك ملكاً فيكون معك نذيراً أو يلقي إليك بكنز من ذهب وفضة تعيش بهما أغنى الناس، أو يجعل لك جنة من نخيل وعنب ، أو يجعل لك قصوراً من ذهب تتميز بها عن الناس وتمتاز فيعرف قدرك وتسود قومك[3].

1- محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر: تفسير الطبري - ج:5 – ص:306، دار الفكر (بيروت) 1405هـ.
2- علي بن أحمد الواحدي: الوجيز في تفسر الكتاب العزيز – ج:1 – ص: 335.
3- أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير، ج: 3، ص:77..

كذلك ينبغي لنا أن نأخذ العبرة من قصة سيدنا سليمان (عليه السلام) حينما سأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي أن يكون لأحد من بعده، وفي ذلك دلالة بينة وواضحة على أهمية البناء الاقتصادي ودوره في حياتنا الاجتماعية، قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ ص:35.

وتتجلى سماحة العقيدة الإسلامية في بعد النظر الذي تميز به معاذ بن جبل؛ حين أشار على عمر بن الخطاب بأن لا يوزع أرض السواد، قائلاً: والله ليكونن ما تكره، إنك إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم، ثم يبيدون فيصير ذلك في يد الرجل الواحد أو المرأة الواحدة، ثم يأتي من بعدهم رجال يسدون من الإسلام مسدًا، وهو لا يجدون شيئًا، فانظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم[1].

1- أحمد مجذوب أحمد علي: السياسة المالية في الاقتصاد الإسلامي، ص: 141، هيئة الأعمال الفكرية، (الخرطوم) 2002م.

المبحث السادس: رأس المال الحقيقي

إن جمع الأموال واكتناز الثروات ليست بالأمر الصعب أو، على الأقل، ليست بالأمر المستحيل، ولكن الأمر الأكثر صعوبة هو أمر إدارة ذلك المال وتنمية تلك الثروات، سواء قلَّت الأموال أو كثرت؛ ولذلك فمن الضوري والمهم جدًا وجود قدر عال من الإنسجام والتفاهم، بل والاندماج، بين رأس المال والمعرفة العلمية، وهو ما يمكن تسميته برأس المال الحقيقي، وهو ذلك النوع من التنمية الذي يعتمد على الإنسان، أولاً وأخيرًا، فالإنسان هو القوة المحركة والطاقة الفعالة التي تدفع عجلة الاقتصاد وتحركها فمن المعروف أنه مهما بلغت قيمة الأرض ورأس المال، كعنصرين في العملية الانتاجية فإن أثرهما ينعدم بدون جهود العامل الذي يحركها ويوجهها لتحقيق هدف انتاجي محدد ومعين[1]، وتمثل كل من دولتي بريطانيا واليابان نموذجين حقيقيين للدول التي تعتمد اعتمادًا كليًا على الاستثمار في الإنسان أولاً وقبل كل شئ، لاسيما وأن الطبيعة لم تهبهما، من الموارد الطبيعية، إلا جزرًا صخرية، وبالرغم ذلك فهما يحتلان مرتبة متقدمة جدًا بين الدول المتقدمة اقتصاديًا، وليست هناك من شك في أن العامل الرئيس الذي ميز الدولتين عن سواهما هو اهتمامها بالإنسان كعنصر رئيس في مجال الاقتصاد، حيث تركزت الجهود حول زيادة الانتاج الذي يتطلب زيادة في الاستثمار، بما يتطلبه من خلق الموارد الجديدة، واقامة المصانع والوحدات الانتاجية، واستغلال الموارد الطبيعية؛ الأمر الذي انعكس بشكل إيجابي على نمو اقتصاد هذين الدولتين التين أصبحتا نموذجًا ممتازًا للاقتصاد المتقدم، وفي مثل هذه الدول المتقدمة تحصل الأموال من المدخرات، أي الأموال التي يستقطعها الناس من دخولهم، ولا ينفقونها، حيث تتراوح نسبة الادخار في هذه الدول بين 15-30 في المئة، بينما لا تتجاوز نسبة الادخار، إن وجدت، في الدول الفقيرة 2-5 في المئة[2]؛ لذلك كان الاهتمام بالتعليم، منذ القدم وحتى اليوم، من أولويات كلا الدولتين، فمنذ زمن بعيد كانت الرحلة في طلب العلم والمعرفة طلبًا عزيز المنال، وهدفًا سامٍ لطلاب العلم، حيث تشير البحوث والدراسات إلى الأعداد المتزايدة من الطلاب الذين ينتقلون من بلادها إلى أخرى طلبًا للعلم، خلال العقود الحديثة، وقد أوضحت إحصائيات منظمة التربية والعلوم والثقافة (اليونسكو 1997م)، أن 1502040

1- حسين عمر: مبادئ علم الاقتصاد، ص: 56، دار الفكر العربي، (القاهرة) 1989م.

2- نفس المصدر، ص: 36.

طالبًا وطالبة، من الطلبة الأجانب هم في مقدمة الدول الخمسين المستقبلة للبعثات، بزيادة تعادل ما نسبته 13% بالمقارنة بالعام السابق، كذلك أوضحت المنظمة أن أعداد الطلاب الذين يرتحلون في سبيل التعليم، في السنوات القريبة الماضية، قد ارتفعت بنسبة 300%، ومن المتوقع زيادة هذه الأعداد الهائلة في الأعوام المقبلة، وتعود تلك الزيادة إلى تحسن الأحوال السياسية والاقتصادية في الدول المرسلة وكذلك المستقبلة للبعثات الدراسية[1].
والناظر إلى دولة كبريطانيا يجد أنها توجه عناية خاصة بالطلبة الوافدين إليها للتعليم وتفتح لهم الأبواب مشرعة لتلقي العلم والمعرفة في مدارسها وجامعاتها، ويرجع احتياج المؤسسات التعليمية البريطانية، إلى الطلبة الوافدين إلى سببين: أولاً، لأنها تؤمن بأهمية التدويل في اضافة المزيد من القيمة الثقافية والتعليمية لتلك المؤسسات. وثانيًا، لأنها في حاجة للقيمة النقدية المتراكمة والتي يدفعها الطلاب[2].

* جدول يوضح نسب الطلاب الوافدين إلى بريطانيا لتلقي التعليم في مدارسها وجامعاتها[3].

الموقع	النسبة%
الاتحاد الأوربي	43
دول آسيا	29
أفريقيا	7
أمريكا الشمالية	6
أمريكا الجنوبية	6
أوربيين من خارج الاتحاد الأوربي	1
أستراليا	1

اقتصاد المعرفة:

هنا يتجلى لنا دور برامج الذكاء الاصطناعي؛ والتي تختلف عن البرامج الإحصائية، لأنها تعتمد على فكرة (تمثيل المعرفة)، إذ إنها تعبر عن تطابق بين الواقع والاستدلال عليه عن

1- بيتر اسكود: عولمة التعليم الجامعي، ص: 35، ترجمة خالد العامري، دار الفاروق (القاهرة) 2007م.
2- بيتر اسكود: عولمة التعليم الجامعي، ص: 39، ترجمة خالد العامري، دار الفاروق (القاهرة) 2007م.
3- المصدر السابق، ص: 37.

طريق الحاسبات الآلية، وبهذا فهي تمزج بين الموارد المالية، من جانب، والمعرفة العلمية (scientific knowledge) من جانب آخر، في بوتقة إدارة المال بشكل علمي ومعرفي؛ ولتنميته ولتجنب المخاطر في ذات الآن[1]، وهو ما يمكن أن نطلق عليه رأس المال الفكري؛ والذي يتميز بقراءة المستقبل والتخطيط المسبق له؛ فالإنسان المتمدن يتميز بسداد الرأي ...، أو قل إنه يتميز ببعد النظر (الذي يتنبأ بما سيقع قبل وقوعه)[2].

وتتجلى أعظم فوائد علوم المستقبل في المنهج الجديد وهو فرع معرفي مستحدث يهتم بالدراسات المستقبلية أو دراسات المستقبل، وهو منهج تقني (Technological Curriculums)، يقوم على المزج بين مجالين هما، المناهج (Curriculums) والتقنية (Technological)، مما جعل من السهل على طلاب الطب أن يقوموا بعمليات تطابق، تمامًا، العمليات الحقيقية التي تجرى في غرف العمليات الواقعية وقد يتوفى المريض دون أدنى تأثير نفسي سلبي لموت المريض الافتراضي، ولكن الطالب سيتألم لفشله في أداء مهمته كما أنه سيفرح إن تمكن من اجتياز الامتحان، كذلك صار من الميسر على صناع الأسلحة الفتاكة معرفة أثر أسلحتهم المدمرة في العالم الافتراضي قبل أن يعمدوا إلى تجريبها في العالم الواقعي، وقد سبق لعلماء الفضاء أن اختبروا تلك العربة التي سارت على كوكب المريخ في العالم الافتراضي المتخيل أولاً ومن ثم تم إطلاقها وإرسالها إلى العالم الحقيقي. كذلك تعمل الدراسات المستقبلية على قياس قدرات الطلاب ومدى تمكنهم من الاستفادة مما اكتسبوه من المعارف؛ ويتم ذلك من خلال وضع الطالب في موقف جديد لم يمر به أثناء دراسته، أو إعطائه مسألة لم تكن من بين المنهج المقرر عليه في حجرات الدرس، ومن ثم يُنظر إلى مهارته وإمكاناته الابداعية على اجتياز الاختبار، وقد طبق هذا النوع من القياسات والاختبارات في مجال الطيران، الطب، الفضاء ...، فكانت النتائج مبهرة حيث تمكن خبراء التعليم وعلماء التربية من تقديم العديد من النماذج العلمية المبدعة والتي تمتلك قدرات خلاقة وبصير نافذة تستطيع من خلالها النفاذ إلى المستقبل البعيد واستشراف آفاقه[3].

1- علي محمود عباس: الثورة التقنية ومستقبل الاقتصاد، ص: 73، مركز الدراسات الاستراتيجية 2014م

2- برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ج1، ص: 46، ترجمة: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر 2012م.

3- دين كيث سايمنتن: العبقرية والابداع والقيادة، ترجمة: شاكر عبد الحميد، ص: 99، سلسلة عالم المعرفة، العدد: 176، الكويت 1990م

إن جلّ، إن لم يكن كل، الواقع المعاش اليوم؛ كان خيالاً بالأمس القريب، نذكر من ذلك: الطيران، الاتصالات، الاستنساخ، معرفة نوع الجنين، أطفال الأنابيب، نقل الأعضاء، الوصول إلى القمر والكواكب القريبة، القضاء على العديد من الأمراض ...، وغير ذلك كثير فرحم الغيب ملئ بما هو متوقع وغير المتوقع.

المبحث السابع: التقنية والاقتصاد

إن بالإمكان حل المشكلات المستعصية بأساليب في غاية البساطة، وهذا ما طبقه العالم الهندي (ثلابيل براديب)، عندما ابتكر حلاً زهيد الثمن لمعضلة حيوية تتعلق بصحة المواطن الهندي، حيث استطاع، (ثلابيل) والفريق العامل معه، في المعهد الهندي للتكنولوجيا بمدينة تشيناي، من صنع فلتر (مرشح) يعتمد على مركبات ألمونيوم بها فضة نانوية[1](Silver nanoparticles)، يمكنه أن تقضي على جميع الفيروسات والمكروبات الضارة والسامة كالحديد والزرنيخ، مثلاً.

والأمر اللافت للنظر هو أن تلك التقنية يمكنها معالجة 3600 لتر من المياه (وهي كمية تكفي أسرة من خمسة أفراد ولمدة عام كامل) بتكلفة دولارين أمريكيين فقط[2]. وهناك نموذج آخر، يبين مدى التوافق بين تقدم التقنية وقلة التكلفة، ويتمثل ذلك في التجربة التي قدمتها مؤسسة أهلية أسسها عدد من العلماء المتطوعين في العام2009م في أمريكا، في مجال بث ونشر الوعي البيئي، حيث تم عرض كاميرات الأشعة تحت الحمراء (Infra read cameras)، بسعر لا يتعدى 35 دولارًا أمريكيًا، في حين كان سعرها، قبل ظهور تلك المؤسسة 750 دولارًا، وربما بلغ سعر الكاميرا 2700 دولارًا[3]، ويكفي هنا أن نلمس ونشهد الضخامة الملحوظة في فرق السعر؛ حتى نتمكن من أن نطلق لأفكارنا العنان، في هذا المضمار، إذ تشير العديد من الأبحاث والدراسات إلى أنه قد بات بالإمكان الآن أن يقوم الشخص بعمل عدد من الصناعات التقنية، وهو جالس في منزله، ولن يحتاج سوى إلى طابعة ثلاثية الأبعاد، بالإضافة إلى تكلفة الاتصال بالشبكة العنكبوتية؛ الأمر الذي سيساعد الفرد في صناعة: التحف والهدايا المتداولة بين العامة، قطع الغيار البلاستيكية التي قد يحتاجها الشخص في المنزل، وأطقم الحمام، ...[4]، ومن المؤكد أن مثل هذه التقنية سيكون لها العديد من الفوائد: كتقليل الكلفة وتحسين الأوضاع الاقتصادية، واكتساب تقنية حديثة ومفيدة، شحذ

1- النانو: أصغر وحدة قياسية، وهي تعادل جزء من مليار جزء من المتر.

2- منة الله عبد العزيز، تكنولوجيا تحطيم الأسعار، مجلة العربي العلمي (الكويت)، ص: 36، العدد: 21، سبتمبر2014م.

3- نفس المصدر ص: 38.

4- جمال غيطاس، التحف والهدايا وقطع الغيار تصنع منزليًا بتكلفة أقل، ص: 39، مجلة العربي لعلمي، العدد: 20، أكتوبر2015م.

العقل وتدريبه على العمل وحث الذهن على الابتكار، الاستفادة من الزمن، كل ذلك لابد وأن تنعكس آثاره الإيجابية على البنية الاقتصادية والاجتماعية، وقد برزت العلاقة، التي تجمع بين التقنية المستحدثة وقلة الأسعار والتكاليف، وانجلت ملامحها الواضحة في الحواسيب وأجهزة الاتصال التي ملأت الدنيا وشغلت الناس[1]. وربما لا يداخلنا الشك في أنه توجد في بلادنا الكثير من القدرات العقلية القادرة على تقديم الحلول النموذجية لكثير من المشكلات المستعصية: كالفقر، الجهل، المرض، البطالة، العنوسة، الجرائم بأنواعها.

1- Jone Keen: administration and minding pelfs. p: 24. Uk 1998.

المبحث الثامن: الاستثمار وتقنيات التعليم

للاستثمار هدف رئيس وهو استخدام المال لكسب المزيد منه؛ وهو يقوم على إنفاق المال في السلع والخدمات، بغرض جني الأرباح الناتجة عن هذا النشاط الاقتصادي، والاستثمار يزيد من النمو الاقتصادي، ويُسهم في تنمية الثروات، ... كل هذه الاستثمارات التي يقوم بها الأفراد أو الشركات الخاصة أو الحكومات تتضمن تضحية بالدخل الحاضر من أجل الحصول على منافع متوقعة مستقبلاً، ونتيجة لذلك، تسهم الاستثمارات في رفع مستوى المعيشة[1]. ولا يمكن لأحد أن ينكر أن التعليم هو الرافد الأعظم للنهوض بالاقتصاد، وأن مخرجاته تمثل التغذية الراجعة (Feed back)، لكل المؤسسات التي ترتبط بتنمية المجتمع[2]، وأننا سنحيا، شئنا أم لم نشأ، في اطار المجتمع المعرفي ومن لم يشارك في انتاج المعرفة واستعمالها والاستفادة منها سيسقط ويموت، فقد زال وانقضى عصر الإنعزال، ومن لم يتقن فنون العصر الجديد فسيحكم على نفسه بالانقراض، بالمعنى التاريخي للكلمة، ويعمل الاقتصاد المبني على المعرفة على فكرة مجتمع المعرفة الذي يشير إلى استخدام المعرفة من أجل توليد المنافع الاقتصادية، أي اقتصاد يستخدم المعرفة واستغلالها ليقوم بالدور الأساسي في تكوين الثروات وتوزيعها بشكل علمي يتوافق واحتياجات المجتمع أو حتى الفرد[3]، إذ إن الثورة أو الانفجار المعرفي هما بمثابة تيار عالمي ...، لا يخضع لقيود أو حدود، سواء أكانت جغرافية أو اجتماعية أو سياسية؛ من هنا انبسقت عدة تسميات لهذا النوع من الاقتصاد:

- اقتصاد ما بعد الصناعي.
- الاقتصاد الابتكاري.
- الاقتصاد المعلوماتي.
- الاقتصاد الرقمي أو الإلكتروني.

1- الموسوعة العربية العالمية، اصدار 2015م

2- عمر هارون الخليفة، علم النفس في اليابان، مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد: الأول، ديسمبر2000م، ص:78.

3- أحمد محمود الزنفلي: التخطيط الاستراتيجي للتعليم الجامعي، ص: 599، مكتبة الآنجلو المصرية، (مصر) 2012م.

- الاقتصاد الجديد[1].

1- سالي محمد فريد: تطور الاقتصاد المعرفي، ص:4، المتخصص للدعاية والإعلان، ط1، 2012م.

كلمة الختام

إن علماء الاجتماع قد خلصوا إلى أن جميع الظواهر الاجتماعية، سواء أكانت، أخلاقية، دينية، سياسية، اقتصادية ...، يرتبط بعضها ببعض بعلاقة وثيقة[1]، وقد حاول الكاتب أن يطرح بعضًا من المفاهيم والقيم الاقتصادية الإسلامية ومن ثم العمل على ربطها بمفهوم العدالة الاجتماعية في التشريع الإسلامي، والمنهج الاقتصادي في السيرة النبوية، كنموذج تطبيقي، وقد هدف هذا الكتاب، بشكل رئيس، إلى غرس القيم الإسلامية المرتبطة بالمعاملات المالية والاقتصادية في المجتمع المسلم ترسيخًا لمبدأ القومية الإسلامية.

نخلص، من كل ما سبق، إلى أن الإسلام قد جعل الإنسان في مركز اهتماماته ومحور تركيزه؛ الأمر الذي جعل الإنسان، بفطرته السوية والسليمة، يتوجه نحو المعرفة والتعليم للاستفادة من امكاناته العقلية والذهنية في البناء والتعمير، فكان حب المال والشهوات هو الباعث الرئيس، والمحرك الأول؛ فجاءت تعاليم الإسلام وارشاداته لتكون بمثابة اللجام الذي يكبح شهوات ذلكم الجواد الجامح، أي شهوات النفس، فقد أرسى الإسلام الدعائم والأسس لأحكم وأعدل نظام مالي عرفته الإنسانية[2]، ولم لا والاقتصاد يمثل العنصر الأبرز، والعامل الأكثر قوة في تسيير دفة معايش الناس، فهو عصب الحياة الاجتماعية وطاقتها المحركة[3]. ومن هذا الباب يمكن القول بأن المال في الإسلام لم يكن محتقرًا، بل كان في موضع التقدير والاهتمام من ناحيتي الدخل والأيراد ومن ناحية الصرف والإنفاق:

- فالمال نعمة من نعم الله على عباده واجبة الشكر والحمد عليها.
- وجه الإسلام الناس إلى ضرورة مراعاة الكسب الحلال.
- جعل الإسلام للفقراء حقًا مفروضًا يؤخذ بالقوة.

1- السيد محمد بدوي: في علم الاقتصاد الاجتماعي، ص: 11، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية – مصر) 1988م.

2- عبد الكريم صادق بركات وعون محمد الكفراوي: الاقتصاد المالي الإسلامي، ص:71، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (مصر).

3- زكريا بشير إمام: التخطيط الاستراتيجي والتعليم العالي في الوطن العربي، ص:181، مطابع السودان للعملة المحدودة (الخرطوم) 2003م.

ولا شك في أن بذور ازدهار النمو الاقتصادي وتطور نشاطاته، متوفرة ومتاحة في فروع الاقتصاد الإسلامي، ويمكن الافادة منها من خلال ترسيخ مفهوم الاقتصاد الإسلامي في مناهج المراحل التعليمية؛ وذلك من أجل تحقيق تنمية اقتصادية مماثلة ومواكبة للاقتصادات العالمية المتطورة، وبالرغم من قدم جذور مفهوم الاقتصاد في كثير من آي القرآن العظيم، وفي كثير من كتب التراث والفقه الإسلامي إلا أن وجود فكرة لمفهوم الاقتصاد بشكل محسوس وملموس لم تجد حظًا من الرواج والانتشار؛ مما جعل مفهوم الاقتصاد الإسلامي في حاجة لكثير من البحوث والدراسات حتى تتبلور الفكرة وتتنزل لأرض الواقع بصورة واضحة ومفهومة لدى العامة والخاصة من الناس. والنقاط التالية تمثل خلاصة النتائج والاستنتاجات التي خلصت إليها هذه الدراسة:

ـ الاساتنتاجات:

– لقد اهتمت القوانين والتشريعات في الإسلام، بحركة المال والتجارة، والعمل على ضبطها وتنظيمها، بشكل لا يوجد له ند أو نظير في جميع التشريعات، وضعية كانت أو غير وضعية.

– يحرم الإسلام كل التعاملات المالية الفاسدة، واللا أخلاقية، والتي تتسبب في الاضرار بتماسك المجتمع، وتعمل على تمذيقه وتفككه.

– تشتمل التشريعات والقوانين الإسلامية، على كل القيم الأخلاقية الفاضلة التي تدعو إلى بناء مجتمع الفضيلة المترابط والمتماسك.

– تمنع القوانين والتشريعات الإسلامية استغلال حاجة الطبقة المستضعفة من الفقراء والمساكين، بل وعملت على منحها كل حقوقها التي تكفل لها الحياة الكريمة.

– الإسلام لا يمنع الملكية الفردية، ولا يقف، عائقًا، في طريق من يريد الثراء، ولكنه يكبح من جماح شهوة النفس للمال ويقيدها بالقيم والأخلاق الفاضلة، التي تقرب الفرد إلى الله تعالى.

– تعمل الدولة كمراقب لحركة السوق والتجارة، ولا تتدخل إلا عند الضرورة لتعمل على اعادة الأمور إلى نصابها، في حال أصاب السوق شئ من الانفلات.

– تحمل العقيدة الإسلامية، في ثنايا تشريعاتها وقوانينها، كل قيم العدل والعدالة الاجتماعية، وتحض على التوادد والتراحم بين جميع أفراد المجتمع المسلم، وحتى غير المسلم.

– تمثل القيم الأخلاقية أبرز معالم المنهج الاقتصادي في السيرة النبوية.

– إن المنهج الاقتصادي النبوي، منهج دنيوي بحق، ولكنه يسعى، جاهدًا، للفوز بنعيم الآخرة.

– يقوم مفهوم المنهج الاقتصادي النبوي على مبدأ أن الدنيا تمثل مزرعة تحصد في الحياة الآخرة.

– إن المنهج الاقتصادي النبوي سهل الفهم وقابل للتطبيق بصورة ممنهجة ومنتظمة.

– اهتم الإسلام برأس المال الفكري (الإنسان)، وجعل منه العمود الفقري لتنمية وتطوير أي نشاط اقتصادي. قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾الإسراء:70.

– ركز الإسلام، كثيرًا، على استغلال الموارد الاقتصادية، المتاحة والمتوفرة، لتحقيق أقصى مردود مادي منها، وبالتالي تزدهر حركة التجارة والاقتصاد.

– الثورة التقنية ضرورة من ضروريات التطور الاقتصادي، لاسيما برامج الذكاء الاصطناعي.

– المناهج والمقررات التعليمية، بعيدة، كل البعد، عن ترسيخ أي مفهوم اقتصادي، ناهيك بالاقتصاد الإسلامي.

– ضرورة قيام اتحاد، فاعل ونشط، للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية، في دول التعاون الإسلامي.

– التركيز على ابراز قوة الاقتصاد الإسلامي وأهميته، كمنافس للاقتصاد الغربي المسيطر.

– دعم اقتصادات الدول الإسلامية لتجابه هيمنة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وسطوته.

– بناء خريطة استثمارية لاستغلال الموارد الطبيعية المتراكمة في العديد من دول العالم الإسلامي.

– يجب الاستفادة من القدرات والامكانات العقلية لأوائل الشهادة الثانوية، وتوجيه تلك القدرات الابداعية الخلاقة للعمل على تنمية الاقتصاد وخلق المزيد من فرص العمل الحر، بدلاً من اهدارها في مجالات الطب والهندسة التي لا تتطلب الكثير من الجهد الفكري والعقلي، وهي أقرب إلى العبودية الوظيفية، سواء أكانت تلك الوظيفة حكومية أو في القطاع الخاص.

– لابد من تأسيس جامعة متفردة تقوم على الاقتصاد وتحديدًا الاقتصاد الزراعي، بحيث يكون هدفها الرئيس هو دعم البنيات الأساسية للاقتصاد وتطويره، من خلال الربط بين الزراعة والتصنيع والتسويق التجاري، وأن يتم تمويلها من قبل البنوك والمؤسسات المالية، وأن تحمل تلك الجامعة السمة العالمية، أو لنقل الإقليمية، بحيث يتم التنافس على مقاعدها من مختلف الجنسيات؛ وذلك تحقيقًا لقوله تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ عبس:24-32.

– العمل على دعم وتشجيع العقول المبدعة الخلاقة، واتاحة الفرص لها لإظهار امكاناتها؛ وذلك بإطلاق البرامج الإعلامية التنافسية التي تقوم على التنافس الفكري للتباري بين ذوي الكفاءات العقلية العالية؛ الأمر الذي سيكون له الكثير من الفوائد الاقتصادية التي تعود على المجتمع بالخير العميم والوفير.

– سيكون من المفيد أن لو تم تفعيل القوانين والتشريعات الإسلامية حتى يتمكن الاقتصاد الإسلامي من تبوؤ مكانته الحقيقية في عالم المال والتجارة العالمية.

– على خبراء وعلماء الاقتصاد الإسلامي العمل، بجد وإخلاص، من أجل تحرير الاقتصاد الإسلامي من قيود الاقتصاد الرأسمالي الغربي وما فيه من تعقيدات.

– يتحتم على مجموعة الدول الإسلامية، وهي سبع وخمسون دولة، تفعيل وتنشيط الصيغ الإسلامية، في ما بينها، من خلال سوق مالية موحدة، على نهج السوق الأوربية المشتركة.

– تتسم التشريعات الإسلامية بكثير من المرونة، التي يمكن استغلالها في تنمية وبناء نشاط اقتصادي يعود بالفائدة على جميع المجتمعات الإسلامية.

– غرس القيم الإسلامية الفاضلة، لاسيما في مجال كسب وانفاق الأموال، في نفوس الناشئة منذ الصغر، من خلال التربية ومناهج التعليم، حتى يشبوا عليها.

ـ المصادر والمراجع:

1. أبو الأعلى المودودي: نظام الحياة في الإسلام، دار الجهاد (القاهرة) 1969م.

2. أبو السادات بن محمد الجزري: النهاية في غريب الأثر ج4 المكتبة العلمية (بيروت) 1979م.

3. أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير، ج: 3.

4. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: تفسير القرطبي ج8، دار الشعب (القاهرة).

5. آبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى: المستدرك على الصحيحين ج2، دار الكتب العلمية (بيروت) 1996م.

6. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: سنن البيهقي الكبرى، ج:7، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة) 1994م.

7. أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج:1،2، مؤسسة قرطبة (مصر).

8. أحمد بن علي الرازي الجصاص: أحكام القرآن للجصاص ج1، دار إحياء التراث العربي (بيروت) 1405هـ.

9. أحمد بن علي بن المثنى أب يعلي: مسند أبي يعلى ج6، دار المأمون للفكر، (دمشق) 1984م.

10. أحمد بن عمرة بن أبي عامر الشيباني: الزهد، ج1، دار الريان للتراث (القاهرة) 1408هـ.

11. أحمد مجذوب أحمد علي: السياسة المالية في الاقتصاد الإسلامي، هيئة الأعمال الفكرية، (الخرطوم) 2002م.

12. أحمد محمود الزنفلي: التخطيط الاستراتيجي للتعليم الجامعي، مكتبة الآنجلو المصرية، (مصر) 2012م.

13. إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفدا: تفسير ابن كثير ج1-4، دار الفكر (بيروت) 1401هـ.

14. ألان بونيه: الذكاء الاصطناعي، ترجمة: علي صبري الفرغلي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت).

15. أمينة أحمد إمام الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) 1994م.

16. برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ج1، ترجمة: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر) 2012م.

17. بيتر اسكود: عولمة التعليم الجامعي، ترجمة خالد العامري، دار الفاروق (القاهرة) 2007م.

18. جمال غيطاس، التحف والهدايا وقطع الغيار تصنع منزليًا بتكلفة أقل، مجلة العربي لعلمي، العدد: 20، أكتوبر2015م.

19. حسن أحمد عيسى: الابداع في الفن والعلم، سلسلة عالم المعرفة (الكويت 1978م.

20. حسن أيوب: فقه العبادات، (بيروت)، 1986م

21. حسين عمر: مبادئ علم الاقتصاد، دار الفكر العربي، (القاهرة) 1989م

22. خير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، وزارة الثقافة والرياضة (قطر) 2017م.

23. دين كيث سايمنتن: العبقرية والابداع والقيادة، ترجمة: شاكر عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة، العدد: 176، الكويت 1993م..

24. زكريا بشير إمام: التخطيط الاستراتيجي والتعليم العالي في الوطن العربي، مطابع السودان للعملة المحدودة (الخرطوم) 2003م.

25. سالي محمد فريد: تطور الاقتصاد المعرفي، المتخصص للدعاية والإعلان، ط1، 2012م.

26. سليمان ابن الأشعث أبو داؤود السجستاني الأذدي: سنن أبي داود، ج2.

27. سليمان بن الأشعب أبو داؤود السجستاني: سنن أبي داود ج2، 3، 5، دار الفكر (بيروت).

28. السيد محمد بدوي: في علم الاقتصاد الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية – مصر) 1988م.

29. عباس العقاد: الديمقراطية في الإسلام، دار المعارف (القاهرة) ط6.

30. عباس العقاد: عبقرية الصديق، وزارة الثقافة والفنون والتراث (قطر) 2012م.

31. عباس العقاد: عبقرية محمد، وزارة الثقافة والفنون والتراث (قطر)، 2013م.

32. عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تفسير السعدي ج1، دار الرسالة (بيروت) 2000م.

33. عبد الكريم صادق بركات وعون محمد الكفراوي: الاقتصاد المالي الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (مصر).

34. عبد الله طاهر وآخرون – الاقتصاد السياسي، دار الأوائل للنشر، عمان 2002م

35. علي بن أحمد الواحدي: الوجيز في تفسر الكتاب العزيز، ج:1.

36. علي محمود عباس: الثورة التقنية ومستقبل الاقتصاد، مركز الدراسات الاستراتيجية 2014م

37. عمر هارون الخليفة، علم النفس في اليابان، مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد: الأول، ديسمبر2000م.

38. فاروق مجدلاوي: الادارة الإسلامية في عهد عمر، روائع .مجدلاوي، (عمان - الأردن) 1998م

39. فتحي عبد الرسول محمد، اتجاهات حديثة في التعليم الجامعي، دار العلوم للنشر والتوزيع، (القاهرة) 2014م.

40. فلسفة الذكاء الاصطناعي، موقع موسوعة الويكيبيديا.

41. فيصل محمود ولطفي عبد القادر: السياسات التعليمية ودور التعليم الجامعي في تهيئة الإنسان لمواجهة مستجدات العصر، مجلة العلوم التربوية، العدد: الأول، ح2، كلية التربية البحرين، مارس 2001م.

42. مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي: موطأ الإمام مالك ج2، دار إحياء التراث العربي، (مصر).

43. محمد أبو عيسى بن عيسى الترمزي: سنن الترمذي ج4، دار إحياء التراث العربي (بيروت).

44. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: أضواء البيان ج3، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت) 1995م.

45. محمد الباتع محمد عبد العاطي: المزج بين التكنولوجيا والمنهج، المكتبة التربوية، (مصر) 2010م.

46. محمد الخضري بك: تاريخ التشريع الإسلامي، دار الكتب العلمية، (بيروت) 1988م

47. محمد الدنيا، هل بلغ الذكاء البشري حدوده القصوى؟، مجلة العربي العلمي، العدد: 22، السنة: أكتوبر2013م

48. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت) 1995م.

49. محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي: صحيح ابن خزيمة ج2، المكتب الإسلامي، (بيروت) 1970م.

50. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج1-6، دار ابن كثير اليمامة (بيروت) 1987م.

51. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج4 ، دار ابن كثير، (بيروت) 1987م.

52. محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري: صحيح البخاري ج:1،2،5،6 ، بيروت 1987م.

53. محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر: تفسير الطبري - ج:5، دار الفكر (بيروت) 1405هـ.

54. محمد بن جرير خالد الطبري: تفسير الطبري ج17.دار الفكر (بيروت) 1405هـ.

55. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي: صحيح ابن حبان ج8، مؤسسة الرسالة (بيروت) 1993م.

56. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي: صحيح ابن حبان، ج10، مؤسسة الرسالة (بيروت) 1993م.

57. محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ج:1،3، دار الكتب العلمية (بيروت) 1990م.

58. محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم: المستدرك على الصحيحين ج2،3، دار الكتب العلمية (بيروت) 1990م.

59. محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ج2، دار الكتب العلمية (بيروت) 1990م.

60. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي: لسان العرب، دار صادر (بيروت).

61. محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني: سنن ابن ماجه ج2، دار الفكر (بيروت).

62. محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني: سنن ابن ماجه ج2، دار الفكر (بيروت).

63. محمد رضا: محمد، ص: 150، دار الكتب العلمية، (بيروت) 1975م.

64. محمد زياد حمدان، الدماغ والادراك والذكاء والتعلم، دار التربية الحديثة، عمان – الأردن 1986م.

65. محمد عمارة: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج1، دار الشروق (القاهرة)، 2008م.

66. محمود وادي وآخرون: دور الاقتصاد الإسلامي في الحد من الأزمات الاقتصادية، من أوراق المؤتمر الدولي العلمي السابع، تداعيات الأزمة الاقتصادية على منظمات الأعمال (جامعة الزرقاء - الأردن) 2009م.

67. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القسيري النيسابوري: صحيح مسلم ج1،4، دار إحياء التراث العربي (بيروت).

68. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري: صحيح مسلم ج4، دار إحياء التراث العربي، (بيروت).

69. مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري: صحيح مسلم ج3، دار إحياء التراث العربي (بيروت).

70. منة الله عبد العزيز، تكنولوجيا تحطيم الأسعار، مجلة العربي العلمي (الكويت)، العدد: 21، سبتمبر2014م.

71. الموسوعة الإسلامية المعاصرة 2004م.

72. Jone Keen: administration and minding pelfs.. Uk 1998.

المحتويات

هذا الكتاب

إذا كان مقصد النظام الاقتصادي الإسلامي هو إشباع الحاجات الأصلية للإنسان وتوفير حد الكفاية والعيش الكريم ليحي الناس حياة طيبة وليعينهم على تعمير الأرض وعبادة الله عز وجل، وتحقيق الإشباع المادي والروحي معا، فإن هذا النظام يقوم على مجموعة من المقومات من أبرزها إيتاء زكاة المال وتحريم الربا وكل المعاملات التي تؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، كما يسعى إلى التكافل الاجتماعي، وهو نظام وسطيٌّ، قوامه العدل والقسط، والوسطيَّة كما يقول الدكتور علي محيي الدِّين القره داغي في مآلاتها هي التَّوازن، أي؛ التَّوازن بين المثاليَّة والواقعيَّة، وبين المادِّيَّة والرُّوحيَّة حيث يجمع بينهما، وبين مصلحة الفرد، ومصلحة الجماعة، ومصلحة الدَّولة، وبين مصلحة الأغنياء، ومصلحة الفقراء.

وفي النظام الاقتصادي الإسلاميّ إلى جانب الرِّقابة الرَّسميَّة الَّتي تمارسها الدَّولة، توجد رقابة أخرى أشد وأكثر فاعلية هي رقابة الضَّمير المسلم، القائمة على الإيمان بالله، ورقابته عز وجل، قال تعالى:﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(الحديد:4)، فهو ينطلق أولا من الرّقابة الذّاتيّة الّتي وضّحها له النبيّ صلى الله عليه وسلم لما سُئِل عن الإحسان في حديث جبريل المشهور فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[1]. أما من حيث الأسلوب والمنهج؛ فإنه يقوم على منهج عقدي أخلاقي مبعثه الحلال والطيبات والأمانة والصدق والطهارة والتكافل والتعاون والمحبة والأخوة مع الإيمان بأن العمل (ومنه المعاملات الاقتصادية) عبادة، في حين نجد النظم الاقتصادية الوضعية تقوم على منهج الفصل بين الدين والحياة، فلا دخل للعقيدة والأخلاق والقيم بالاقتصاد.